الجمهـــوريـــة الجـــزائـــريـة الديمـــقراطيـــة الشـــعبـــيـــة

وزارة التعـــليم العـــــالي والبحث العلـــمي

كليـــة العلـــوم الإنسانـــيـــة و الإجـتمـــــاعية

جامعة محمد بوضياف – المسيلة –

قســـم الفـــلســفـة

العنوان

النشـاط التواصلي الديمقراطي عند هابرمـاس

مذكـــــرة مقدمة لنيل شهـــادة الماســـتر في الفـــلسفة

إعـداد الطـــالب:

ـ جرباح سارة

إشـــراف الدكتور:

جلول مقورة

السنة الدراسية: (2017/2016م)

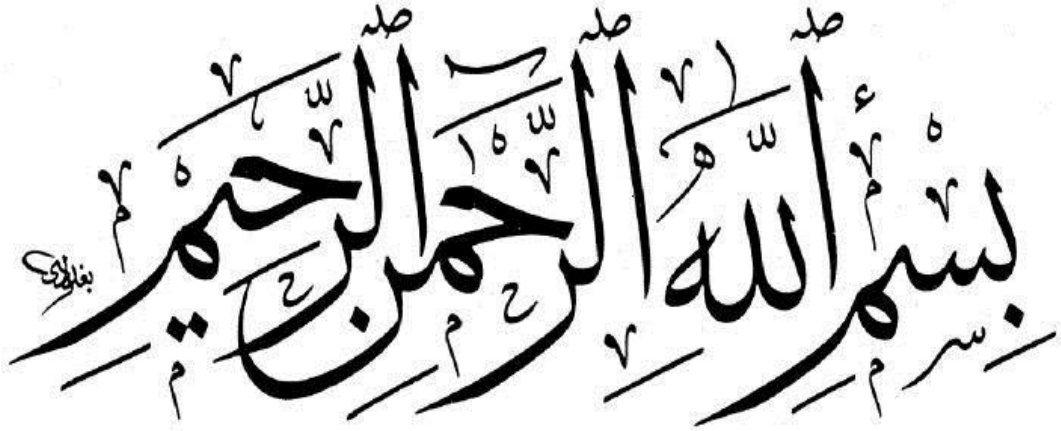
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا نشكره على منحنا القدرة على إتمام هذا العمل

لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف على هذه المذكرة

الدكتور جلول مقورة

والذي قام بالسهر على إتمام هذا العمل وتقديم التوجيهات والإرشادات اللازمة

كما أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان لكل أساتذة قسم الفلسفة بجامعة المسيلة

والذين كان لهم فضل في تحصيل عملنا هذا

والشكر لكل طلبة الدفعة وقسم الفلسفة عامة

إهـــداء

في هذه اللحظة الفارقة في الحياة يوم كنت انتظره

منذ أيام الصبى شكر ووفاء لواجب الشكر والعرفان أتقدم إلى أبي فأقول له

شكرا لا حد له

إلى من ملكت حواسي وإحساسي واحتوت عقلي وأفكاري وهامت بك نفسي

وأنفاسي إلي الحب الصادق والمربية الفاضلة والشمس الوضاءة

التي أنارت لي دروب النجاح في الحياة أيتها الوالدة الحبيبة

شكرا جزيلا

إخواني وأخواتي كل باسمه أفخر بكم وأسعد لأنكم معي في هذه اللحظة، إلى رفيقات دربي

أتمنى لكم حياة النجاح في المستقبل

مـــقدمـــة

مقـدمـة

تبقـى الفلسـفة دائمـا وأبـدا حـوارا تسـاؤليا عـن الكـائن والكينونـة أو عـن الإنسـان والطبيعـة وبـين الإنسـان والإنسـان أو بـين الأنـا والآخـر، وهـذا الإرتبـاط الـذي تقـوم بـه الفلسـفة بـين مختلـف هـذه العلاقـات أدى إلى محاولـة الإبقـاء علـى صـلة الفلسـفة بالإنسـان وبـالعلوم الإجتماعيـة والطبيعيـة والسياسـية وخاصـة هـذه الأخـيرة (أي علاقـة الفلسـفة بالسياسـة).، حيـث أصـبحت الفلسـفة تهـتم بـالواقع أي الإنشـغال الفلسـفي بهـذا الواقـع وخاصـة في العصـر المعاصـر، أيـن أصـبحت الفلسـفة السياسـية تمثـل الحيـاة الـتي تتجـه إليهـا أعـين النـاس والمجتمعـات، وخاصـة بعـد تطـور الـنظم السياسـية المختلفـة وتغـير اسـتراتيجيات الـدول وتدافع المصالح مما استدعى من الفلاسفة إعادة النظر في هذه النظم.

إن هـذا الإنتقـال الفلسـفي بـالواقع السياسـي يضـعنا أمـام مفارقـة حقيقيـة وعنـدما تنـاول هـذا المجـال النقـدي يراودنـا نـوع مـن الشـك والحـيرة، فنجـد أن يـورغن هابرمـاس مـا زالـت فلسـفته تتسـع نظريـا لمختلـف المفـاهيم والمفـردات كالفعـل التواصـلي، أخـلاق المناقشـة والديمقراطيـة التشـاورية ...الخ، فلقـد وجـد هابرمـاس نفسـه أمـا دوامـة معرفيـة يهـدم كـل الأطـر المعرفيـة الحديثـة، إنـه تيـار مـا بعـد الحداثـة الـذي ينظـر نظـرة تشـاؤمية لعصـر الحداثـة ويـرى أن الحداثـة مشـروع لم يكتمـل بعـد، وتأسـيس مقاربـة جديـدة وخاصـة في مجـال السياسية أو ما يعرف بالديمقراطية التشاورية.

وبنـاء علـى مـا تقـدم فـإن اختيارنـا لهـذا الموضـوع كـان لأسـباب ودوافـع ذاتيـة وموضـوعية، فبالنسـبة للأسـباب الذاتيـة لم يكـن عشـوائيا بـل هـو محاولـة منـا لمعرفـة فكـر الفيلسـوف يـورغن هابرمـاس والتطـرق إلى أهـم أفكـاره وطـرح مشـروعه التواصـلي وتأسـيس الديمقراطيـة قائمـة علـى أسـاس الجماعـة أي الديمقراطيـة التشاورية، أما الأسباب الموضوعية تتجلى في مدى تطبيق الديمقراطية التشاورية على الدول العربية.

هكـذا انبثقـت إشـكالية البحـث في نتيجـة لبنـاء نسـقي: مـا مـدى فاعليـة الفعـل التواصـلي في نظرية الديمقراطية المعاصرة؟

وتفرعت على هذه الإشكالية الرئيسية مشكلتين:

المشكلة الأولى: ما المقصود بالفعل التواصلي وهل يحمل دلالة سياسية؟

المشـــكلة الثانيـــة: هـــل يمكـــن اعتبـــار الديمقراطيـــة التشـــاورية نمـــوذج بـــديل يتجـــاوز مشـــكلات الأنظمـــة المغايرة؟

وهل يمكن اعتبار العقلانية أداة فعالة لخلق نظام ديمقراطي عادل؟

ونظـرا للمشـكلة المطروحـة جـاء تقسـيم هـذه الدراسـة إلى فصـلين بالإضـافة إلى مقدمـة وخاتمـة، في الفصـل الأول الموسـوم بالجانـب الفلسـفي في فكـر هابرمـاس ويندرج تحتـه أربـع مباحـث ، المبحـث الأول بعنـوان نظريـة الفعـل التواصـلي والـذي يتضـمن مطلبـين: المطلـب الأول وجـاء بعنـوان مفهـوم الفعـل التواصـلي أي كيفيـة اعتبـار التواصـل آداة فاعلـة لتحقيـق نـوع مـن التفـاهم والاتفـاق والمطلـب الثـاني وتناولنـا فيـه مراحـل الفعـل التواصـلي وهـي ثلاثـة مراحـل مرحلـة تتوسـطها الرمـوز (أي علاقـة الفعـل والقـول) والثانيـة هـي مرحلـة الخطـاب أي انفصـال مـا بـين القـول والفعـل والثالثـة وهـي مرحلـة الخطـاب البرهـاني الحجـاجي ويـتم فيـه التمييـز بـين المبـادئ الـتي تنـتج المعـايير، أمـا المبحـث الثـاني فقـد تناولنـا فيـه آليـات الفعـل التواصـلي وتنـدرج فيـه ثلاثـة مطالـب، في المطلـب الأول تطرقنـا للغـة والتواصـل باعتبارهـا وسـيلة أو آداة للتواصـل والحـوار، أمـا المطلـب الثـاني المعنـون بايتيقـا النقـاش أي تبيـان العلاقـة بـين ايتيقـا المناقشـة ومفهـوم التواصـل أي لا يمكـن فهـم أحـدهما دون الآخـر، والمطلـب الثالـث وخصصـناه لفكـرة الحجـاج باعتبـاره وسـيلة لتحصـيل نـوع مـن الاتفـاق وتحصـيل الاقنـاع، والمبحـث الثالـث وخصصـناه لتحليـل مفهـوم العـالم المعـيش وعلاقتـه مـع الفعـل التواصـلي بمعـنى لا يمكـن أن يتحـدد العـالم المعـيش خـارج إطـار الفعـل التواصـلي، أمـا المبحـث الرابـع فتحـدثنا فيـه عـن مفهـوم الفضـاء العمـومي كمطلـب أول، إذ أن هابرمـاس يعتـبره مـن مجـالات التواصـل القائمـة في المجتمـع والـذي يسـمح بالإخبـار وتبـادل الآراء، وهـذا كلـه في إطـار الإرادة العامـة أو الـرأي العمـومي، والمطلـب الثـاني وخصصـناه للفضـاء العمـومي البرجـوازي، وأبرزنـا فيـه دراسـة هابرمـاس وتبيانه لتحولات بنية الفضاء العمومي البرجوازي وتأكيده على أنه مجال مفتوح.

أمـا الفصـل الثـاني المعنـون بالنظـام السياسـي عنـد هابرمـاس تنـدرج تحتـه خمسـة مباحـث، في المبحـث الأول وتطرقنـا إلى مفهـوم الشـرعية في النظـام السياسـي والـذي بـدوره ينقسـم إلى مطلبـين، الاول تنولنـا فيـه مفهـوم الشـرعية والثـاني فصـل في الشـرعية وأهـم مسـوغاتها في الدولـة الحديثـة وأهـم أزماتهـا، وكيفيـة تحقيـق الشـرعية فيهـا، أمـا المبحـث الثـاني فطرحنـا فيـه فكـرة القـانون وكيفيـة تجليـه داخـل النظـام الـديمقراطي بالإضـافة إلى علاقـة القـانون بالديمقراطيـة واعتبـاره أسـاس في قيـام المجتمعـات والمطلـب الثـاني وتكلمنـا فيـه

عـن الحـق عنـد هابرمـاس بأقسـامه الـثلاث "الطبيعـي والسياسـي والاجتمـاعي"، أمـا المبحـث الثالـث فتطرقنـا فيـه إلى توضـيح نمـوذج الديمقراطيـة مـن منظـور هابرمـاس وفيـه ينـدرج مطلبـين الأول الديمقراطيـة والليبيراليـة بحيـث أعطـى تأسيسـا جديـدا مخـالف للنظـام الرأسمـالي، والمطلـب الثـاني والـذي عنوانـه بالديمقراطيـة التشـاورية بحيـث عمـل علـى تأسـيس ديمقراطيـة قائمـة علـى أسـاس الجماعـة بالإضـافة إلى اعتبارهـا نمـوذج لجميـع الأفـراد ومجـال للعبـير عـن آرائهـم، والمبحـث الرابـع وتطرقنـا فيـه إلى مـا بعـد الدولـة الأمـة وتجـاوز مفهـوم الدولـة والأمـة لتأسـيس مواطنـة عالميـة يـتم مـن خـلال ثـلاث عوامـل بحيـث المواطنـة لم تعـد حكـرا علـى الأمـة والثانيـة التعدديـة الثقافيـة والثالثـة المسـاواة بـين المواطنـة والجنسـية، أم المبحـث الخـامس كـان بعنـوان التفكـير مـع هابرماس وضد هابرماس وفيه مجموعة من الإنتقادات الموجهة لهابرماس.

أمـا بالنسـبة للمـنهج المسـتخدم في هـذا البحـث فهـو المـنهج التحليلـي، والـذي يمكننـا مـن فهـم وتحليـل أفكـار الفيلسـوف وشـرحها بالإضـافة إلى تبيـان معـالم مشـروعه، وبـذلك يسـنى لنـا تقسـيم أفكـاره المركبة إلى أفكار جزئية مبسطة.

وقـد اعتمـت علـى مجموعـة مـن المصـادر والمراجـع الرئيسـية في البحـث، كعنـوان "التقنيـة والعلـم كايـديولوجيا" لهابرمـاس، وكتـاب "القـول الفلسـفي" لهابرمـاس كـذلك، ومرجـع أبـو النـور حمـد أبـو النـور حسـن الموسـوم بعنـوان "يـورغن هابرمـاس الأخـلاق والتواصـل" وكتـاب "إشـكالية الحداثـة مـن فلسـفة الـذات إلى فلسفة التواصل يورغن هابرماس نموذجا"

كمـا تجـدر بنـا الإشـارة إلى جملـة الصـعوبات الـتي واجهتنـا في البحـث وهـي غـزارة الإنتـاج الفلسـفي لـدى هابرمـاس وشسـاعة مشـروعه، لـذا حاولنـا اقتحـام هـذا الموضـوع ونأمـل أنكـون قـد وفقنـا في طـرح الموضوع ولو بنظرة بشكل نسبي وجزئي.

الفصل الأول :

الجانب الفلسفي في فكـر هابرمـاس

المباحث :

- نظرية الفعل التواصلي
- آليات الفعل التواصلي
- الفعل التواصلي وعلاقته مع العالم المعيش
- الفضاء العام

الفصل الأول: الجانب الفلسفي في فكر هابرماس

تمهيد:

إن التواصل من المفاهيم المتداولة في العصر المعاصر، حيث أصبح التواصل نظرية مستقلة بذاتها، و هابرماس من خلال تأسيسه لنظرية الفعل التواصلي يتناولها من منظور سوسيولوجي، كما أن رؤيته النقدية اكتسبها من رواد مدرسة فرانكفورت، مما ساعده على توجهه نحو الحداثة، ونظرية الفعل التواصلي تشمل العديد من المجالات (الأخلاق، الإجتماع واللغة) فماذا يقصد بالفعل التواصلي؟ وفيما تتجلى آليات الفعل التواصلي؟ باعتبار أنها تمثل المرتكز الذي يعتمد عليه في نظريته التواصلية بما في ذلك (اللغة، الحجاج، ايتيقا القانون) وما يخص العالم المعيش وعلاقته بالفعل التواصلي وكيفية التفاعل بين أفراد المجتمع في الحياة اليومية لكي نفسر الإندماج الإجتماعي لابد من النظر إلى العالم المعيش من جهة والنسق من جهة أخرى.

1/ ماذا نقصد بالفعل التواصلي؟ وفيما تتجلى آلياته؟

2/ ما علاقة الفعل التواصلي بالعالم المعيش؟

3/ وإلى أي مدى يعتبر الفضاء العمومي فضاء للنشاط الديمقراطي؟

المبحث الأول: نظرية الفعل التواصلي

المطلب الأول: مفهوم الفعل التواصلي

إن نظريـة الفعـل التواصـلي تتأسـس علـى مـا يعـرف بـالأنوار مـن خـلال أن مدرسـة فرانكفـورت هاجمـت العقـل الأداتي أو عقـل الأنـوار، حيـث نجـد أن هابرمـاس* كـان ضـد فلسـفة الأنـوار، بحيـث كـان هدفه تحرير الإنسان من الهمجية والوحشية وضع بدليل في ذلك إعطاء تعاريف للفعل التواصلي.

يقـول هابرمـاس: "إن الفعـل الـذي صـاغه هابرمـاس لمحاولـة تنميـة الحـد الموضـوعي الإنسـاني للعقـل** الـذي يطلـق عليـه العقـل التواصـلي، العقـل لديـه الفاعليـة لتجـاوز العقـل المتمركـز حـول الـذات وتجـزئ الواقـع تحـول كـل شـيء موضـوع جزئـي العقـل نفسـه"[1]، فالعقـل الـذي يهـدف إليـه هابرمـاس هـو تجـاوز العقـل الأداتي أي تجـاوز العقـل المتمركـز حـول الـذات، فالعقـل جـوهر أساسـي وهـو وسـيلة بحـث علـى ما هو عقلاني.

"إن التواصـل عنـد هابرمـاس عـدا الفاعليـة الوحيـدة الـتي بإمكانهـا إعـادة الـربط بـين أطـراف هـذا العـالم المتقطـع الأوصـال عـالم فقـد كـل مرجعياتـه ونقـاط ارتكـازه، وانقطعـت الصـلة الحميميـة بالإنسـان"[2] وعليـه فالتواصـل هـو العلاقـة الفاعلـة الـتي تحقـق الانسـجام بـين الأفـراد بمعـنى أن هنـاك علاقـة بـين الأفـراد

---

* فيلسـوف وعـالم اجتمـاع، ألمـاني ولـد سـنة 1929م، يعـد مـع مـاركيوز وهوركهـايمر وأدورنـو مـن ممثلـي مدرسـة فرانكفـورت، وهـو خبـير منطقـين درس الفلسـفة وعلـم الإجتمـاع في جامعـة "هايـدلبرغ"، أراد مـن جميـع فلاسـفة المدرسـة أن تتسـلق مشـروع مـاركس في نقـد المجتمـع وإشـكال الإسـتلاب بالحـديث عـن فهـم الماركسـية وبالتـالي علـى أنهـا نظريـة نقديـة كـبرى بشـرط أن تكـون أيضـا جدليـة رأى أن مهمـة الفلسـفة المحافظـة علـى إمكانيـة الخطـاب العقـلاني متتبـع بدونـه باسـتعمال الديمقراطيـة. مـن أهـم مؤلفاتـه "النظريـة والممارسـة، التقنيـة والعلـم، نظريـة الفعـل التواصلي، الخطاب الفلسفي للحداثة..." (جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة، بيروت، ط2، 1987 ص36).

** تنسـب إلى أفلاطـون وأرسـطو الفـرق بـين العقـل والفكـر فـالأول يسـتدل ويسـتنتج، أمـا الثـاني يكشـف عـن أسـباب الظـواهر ونحـن لا نجـد الفـرق بينهمـا علـى أنـه لا ثمـرة عمليـة لهـذا الفـرق، والعقلـي نسـبة إلى العقـل أمـا العقـلاني نسـبة إلى مـا يـؤمن بحكـم العقـل ويسـتدل بـه علـى صحة العقائد. (انظر: محمد جواد مغنية: مذاهب فلسفية، ص 218)

[1] أبو النور حمدي أبو النور الحسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، المكتبة الفلسفية، 2012، ص135.

[2] جان مارك فيري: فلسفة التواصل، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم، ط1، 2006م، ص19.

تمثل ذلك الاتساق داخل المجتمع، حيث يتجلى التواصل من خلال إخراج الوعي من باطنه إلى الآخر، وهناك تظهر علاقة بينذاتية أي علاقة بين الذوات.

يقول هابرماس: "مفهوم النشاط التواصلي يدور بطريقة إعمال التفاهم المتبادل التي تجمع بين المشاريع التي تلبى في سياق التفاعل أدت إلى العمل يمكن أن يدور أن يحقق النشاط عملية الغائية التفاهم المتبادل إيقاف يهدف إلى عضوية عقلانية"[1]، من خلال هذا التحول يتضح بأن النشاط يرتكز بصورة كبيرة من أجل تحقيق التفاهم أي العلاقة بين الأفراد أو بين الذوات، بحيث تخلق نوع من التفاهم بحيث يكون هناك نوع من الاتفاق بين المشاركين وهذا يتم كله في إطار التفاعل داخل العمل أو السياق.

كما نجد أن هابرماس يؤكد أن هايدجر (**1889–1976م**) أكد على علاقة بين الذوات بحيث اعتبر أن هايدجر أنه لا يوجد ذات منعزلة لوحدها بل هي في علاقة الفاعل، هذا كله في إطار ما يعرف بالعالم أي هناك علاقة بين الذوات، يقول هابرماس: "إن هايدجر سيوسع تحليله للعالم من زاوية العلاقات البينذاتية التي تفترض أن الأنا تباشرها مع الغير، فإن تغيير المنظور من النشاط الفردي الذي ينبغي تحقيق هدف ما إلى التفاعل الإجتماعي المتبادل قد يكون الفعل هو مفتاح عمليات التفاهم –وليس فقط الفهم– التي تستحضر العالم كخلفية"[2]، وعلى هذا فهايدجر يؤكد أن العالم يمثل بالنسبة للأفراد أن هناك علاقة بين الذات والآخر، وهذا التبادل أو التفاعل في إطار التفاعل الإجتماعي بحيث يكون الفعل هو أساس في عملية التفاهم بين الذوات.

يقول هابرماس: "والتبرؤ مصطلح هابرماس نظرية حاسمة ظلت تعمل منذ نشر نظريته في الفعل التواصلي إلى التأكيد على ما يميز تطور شخصي له وتشكيل النظرية النقدية، اليوم يجب أن يأخذ

---

[1] J- Habermas :morale et communication : conscience morale et activité communicationnelle tr :Christian bouchèndhomme Flammarion l'édition de cerf , paris, 1986, p149

« le concepts d'activiti communication s'associent d'une manieve telle que les actes dintercomphrension qui associent les eusc être ramenés a l'activité téléologique les processus d'intionnelment visent une entente qui dépend de l'adhésion rationnellement motive »

[2] يورغن هابرماس: هايدجر والنازية (التأويل الفلسفي والالتزام السياسي)، تر: عز الدين الخطابي، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص98.

وظائف كانت تعمل تأخذ وظائف وقد أبرز أدورنو وهوركهايمر مرجعية تحت ضغط مزدوج من السياق الإجتماعي والاقتصادي"[1]، فالنظرية النقدية بمفهومها الحداثي أرادت أن تحرر الإنسان أو تفكيره من قيود السلطة والمجتمع، وكذلك محاولة الكشف عن مصالحه الإجتماعية حيث نجد أن النظرية النقدية تحقق المصلحة الإجتماعية، وهي بذلك تسعى إلى التطور الإجتماعي التاريخي من خلال أنها تسعى إلى خدمة مصالح الأفراد.

إن الحاجة الملحة لها التحدي هو أن الثقة الحداثة، التي كانت جزء أول من النظرية هي على قدم وساق عند تحديث هابرماس برنامج النقدية في نهاية الفعل الإتصالي هو الكسوف ضل بين هوركهايمر"[2]، يتضح من هذا القول أن مشروع هوركهايمر كان هدفه هو تخليص الفرد من مختلف أشكال السيطرة والهيمنة فيما بعد ذلك ظهور العقلانية التواصلية عند هابرماس.

إن أدورنو وهوركهايمر عالجوا الفكرة أو الأزمة "جدلية التنوير أو الأسطورة الفعل واللاعقل، فالعقل الذي رفض الأسطورة وعمل على تحرير الإنسان من الخوف والخرافة حيث جعل الإنسان سيدا على الطبيعة مما أدى إلى ظهور العقلانية والحداثة، هناك اللحظتين في تكوين العقلانية والحداثة هما: قيمة الإنسان ومكانته المستقل بذاته والحر كذلك تنزع الطابع السحري من العالم، أما بالنسبة لوعود التنوير تحرير الإنسان من جميع السلطات المتحكمة والمهيمنة لم يكن من الممكن تحقيقه في ظل

---

[1]Chrition bouchèndhomme et rainer rouchlitz : Habermas, la raison , la critique, les édition du cerf , paris, 1996, p69-70

« sans répudier l'appellation théorie critique Habermas s'est attechè depuis la publication de sa théorie l'agir commotionnel a souligner ce qui distingué son évolution personnelle et la forme que la théorie critique doit a'dorno et de Horkheimer cette révision s'est imposées sous la double pression d'un contescte socio économique profondement transformé.

[2] ibid, p 69.

« l'ugence de cette remise en question tient au fait que la confiance en soi la modernité dans la quelle s'inscrivait la premierè théorie critique est bien entameè, lorsque Habermas actualise le programme de la theovrie critique a la fin de la theorie de l'agir communicationnel c'est implitiment l'ombre d'eclipse de la raison de Horkheimer »

العقلانية[1]، فمن المعروف أن هابرماس في سياق حديثه عن الخرافة والعقلانية بحيث تتم في سياق ونجد أن النظرية التي عمل بها هابرماس في علاقتها بالنظرية النقدية ومسألة الحداثة فهي الفاعلية التواصلية.

التفكير في التواصل إذن هي عمق التفكير في مسألة الحداثة، باعتبار أن الحداثة هي تتويج للعقلانية وتناول التواصل من جهتين "النمط الآداتي" الذي نظر إليه ماكس فيبر (**1864-1920م**) إلى ما يسميه بالعقلنة بالقياس إلى الغاية، النمط التواصلي الذي عمل على اقتراحه من خلال ذلك يظهر التفاعل بين ما هو أداتي وتواصلي، والتواصل يتحدد عنده بوصفه نشاط تواصلي، أي ما هو ممارسة اجتماعية رمزية تصاغ بفعل اللغة ولذلك الرجوع إلى المحددات الإجتماعية والثقافية تؤثر في النشاط الإجتماعي وفي السياق العام للتبادل.[2] إذن فنشأة الحداثة الأوربية عند فيبر ترتبط بطبيعة رؤيته إلى الإنسان ذاته فهو يرى أن الكائن الإنساني لا تحركه دوافع مادية فحسب بل ثمة دوافع ثقافية لها تأثير في وعيه وسلوكه في الحياة، وكذلك أن العقلنة لها إطار مفهوم في سلوكه الحداثي، نجد أنها رسمت تحولا هائلا في ثقافة الإنسان بحيث يفهم العالم من خلال الرؤية العقلانية. على الرغم من أن هابرماس أمد النظرية النقدية بدماء جديدة استقاها من مختلف العلوم الإنسانية التي تعمل منها ووضع أسسا نقدية جديدة محاولا الخروج من دائرة النقدية بطرحه النظرية الإجتماعية أكثر اتساقا وتنظيما ليضع بذلك نسقا تحليليا شبيها بعض الشيء في خطوطه العريضة "بارسونز" النظرية.[3] فهابرماس أعطى كثيرا للنظرية النقدية و حاول تأسيس نظام متناسق ومناسب لجميع الناس أي يشارك فيها جميع الأفراد بآرائهم.

كما نجد أن هابرماس شارك الجيل الأول في نقدهم للعقل الآداتي، كما أن هابرماس سار في الجدل السلبي لأدورنو*(**1903-1969م**) حيث لم يجد فيه عاملا من أجل تأسيس نظرية نقدية

---

[1] كمال بومينر: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم، ناشرون: ط1، 2010م، ص16.

[2] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، إفريقيا الشرق، ط2، 1998م، ص ص 181، 182.

[3] عطيات أبو سعيد: الحصاد الفلسفي القرن 20، منشأ المعارف، ط1، 2002م، ص92.

* فيلسوف وعالم اجتماعي وموسيقي وعالم موسيقي ألماني ولد 11 أيلول 1904، في عام 1933 قدم أطروحته عن هوسرل لنيل شهادة دكتوراه من جامعة فرانكفورت، وقد كرس سنوات الهجرة تلك لكتابة مؤلفه الفلسفي الأول بالتعاون مع هوركهايمر "جدلية الأنوار" (انظر: جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص57)

متناسـقة، ولكـن أدورنـو كشـف عـن تناقضـات النظريـة النقديـة وأظهـر التنـوير بشـكل معـاد للحقيقـة والصـدق، حيـث نجـد أن هابرمـاس أراد الخـروج مـن دائـرة الجـدل السـلبي حيـث يعتـبره جانـب للهـدم، وقـد نقـد هابرمـاس النظريـة النقديـة وكـذلك الجيـل الأول لأنـه لم يجـد مـذهب متماسـك ونظريتـه يجـب أن تكـون نسـقية، وكـذلك افتقـار النظريـة النقديـة إلى أسـس معياريـة للنقـد، واقتصـارها علـى نقـد لمفهـوم العقـل الآداتي[1]، بمعـنى أن هابرمـاس قـام بنقـد العقـل الآداتي أي يحـرره مـن التأمـل الـذاتي، حيـث تحـول هابرمـاس مـن الإهتمـام بالـذوات والأشـياء إلى قضـايا التواصـل والتفـاهم بـين الـذوات، وكـذلك بنقـد العقـل الآداتي وتأسيس نظرية تقوم على الفعل.، وتأسيس نظرية متكاملة ومتناسقة فيما بينها.

ويوضـح هابرمـاس بقولـه: "الإنتقـال مـن عقـل متمركـز علـى الـذات إلى عقـل تواصـلي يمكنهمـا مـن جانـب آخـر، أن يحظـى علـى العـودة بمجهـود جديـد"[2]، وعلـى هـذا يتبـين أن هابرمـاس اسـتند إلى العقـل التواصـلي، حيـث نجـد مـن بـين المبـادئ الـتي ارتكـزت عليهـا نقـد العقـل الآداتي أي تحـرر مـن فلسـفة الـوعي أو فلسفة الذات، بمعنى التحول من عقل آداتي إلى عقل تواصلي ومنه التواصل البينذاتي.

كمـا دفـع هابرمـاس إلى إعـادة صـياغة نظريـة عقلانيـة، ودفعتـه فلسـفة هايـدجر بتحليلاتهـا الأنطولوجيـة* الـتي ركـزت علـى الإنسـان في العـالم ووجـوده مـع الآخـرين، وكمـا تأسسـت البـدايات الأولى إلى التطلـع نحـو التحـرر الإجتمـاعي وهـو المنظـور الغائـب في فلسـفة هايـدجر، لـذلك كـان هـدف هابرمـاس هـو تحريـر الـوعي الإجتمـاعي وتأسـيس نظريـة تقـوم علـى التواصـل الإنسـاني، وكـان علـم الإجتمـاع أحـد المكونـات الأساسـية بمشـروعه الفلسـفي، لارتباطـه بمشـكلة العقلانيـة والمشـكلات الـتي نجمـت عـن تحـديث المجتمـع، كمـا أن تأسـيس نظريـة تتطلـب مـن المجتمـع إعـادة بنـاء تـاريخي للنظريـات الإجتماعيـة

[1] عطيات أبو سعيد: الحصاد الفلسفي القرن 20، مرجع سابق ص94.

[2] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م، ص458.

* مـذهب إيطـالي حيـث يـرى أن الفكـر تـابع للوجـود مقبـل المـذهب النفسـي الـذي يقـرر أن الوجـود تـابع للفكـر، والأنطولوجيـا ميـل الفكـر إلى الأنطولوجيـا أو علـم الوجـود مـن حيـث أنـه العلـم الـذي يبحـث عـن الصـفات وطبيعـة الموجـود في ذاتـه والموجـودات في ذاتهـا. (انظـر: عبـد المـنعم الحنيفي، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مديولي، القاهرة، ط3، 2002، ص125)

الكلاسـيكية.[1] بمعـنى أن هابرمـاس أراد تأسـيس نظريـة تقـوم علـى التواصـل الإنسـاني، أي الإبتعـاد عـن النظرة الفردانية والانصياع إلى التحديث الإجتماعي.

ونجـد أن النظريـة تتأسـس علـى فعلـين همـا: "فعـل اسـتراتيجي – وفعـل تواصـلي-" "يتميـز فعـل اسـتراتيجي مـا ازاء الأفعـال التواصـلية ضـمن التقاليـد المشـتركة بـأن الحسـم بـين إمكانـات الاختيـار البديلـة مونولوجيـا بالأسـاس، وهـذا يعـني أنـه يمكـن ويجـب أن يتخـذ لهـذا السـبب دونمـا تفهـم، لأن المبـادئ والقواعـد المتميـزة الملزمـة لكـل واحـد مـن الفرقـاء قـد تم اعتمادهـا مسـبقا وتنمـي المشـاركة الكاملـة بـين الـذوات لصـلاحية القـوانين"[2]، مـن خـلال القـول يتضـح أن الهـدف مـن الفعـل الإسـتراتيجي هـو تحقيـق منفعـة وكـذلك هـو فعـل اجتمـاعي يميـزه عـن الفعـل التواصـلي، لأن الفعـل الإسـتراتيجي يـرتبط بتحقيـق النتـائج والمصـالح، أمـا الفعـل التواصـلي يهـدف إلى تحقيـق التفـاهم أي النشـاط التواصـلي أي الـذي يحـدث بـين ذاتـين أو أكثـر، والهـدف منـه الوصـول إلى التفـاهم، ونجـد أن هابرمـاس أعطـى أهميـة وأسـبقية للفعـل التواصلي على الفعل الإستراتيجي.

"يـوزع نمـط الفكـر التواصـلي في ثـلاث هيئـات: **أولا** العقلانيـة* بمعـنى هـي وليـدة اللغـة وأن العقلانيـة تكشـف عـن نسـق اجتمـاعي ديمقراطـي، **ثانيـا** التأكيـد علـى أخلاقيـات النقـاش والـتي ترسـخ قـيم الأخـلاق الـتي تتجـه نحـو تحليـل مضـمون المعـايير **ثالثـا** الكشـف عـن نمـط التواصـل عـبر نقـاش غـير حـر عقـلاني".[3] إذن فحسـب هابرمـاس ثمـة نظـام أخلاقـي يحـاول الكشـف عنـه وهـو الأخـلاق الكليـة لا يتوجـه

[1] عطيات أبو سعيد: الحصاد الفلسفي القرن 20، مرجع سابق، ص96.

[2] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، دار الجمل كولونيا، ألمانيا، ط1، 2003م، ص19.

* مـذهب فلسـفي يـزعم أن الاسـتدلال العقلـي هـو الطريـق الوحيـد للوصـول إلى معرفـة طبيعـة الكـون والوجـود بـدون الاسـتناد إلى الـوحي الإلهـي أو التجربـة البشـرية لا مجـال للإيمـان بـالمعجزات أو خـوارق العـادات، كمـا أن العقائـد الدينيـة يمكـن بـل ينبغـي أن تحصـر لمعيـار عقلـي وهنـا تكمـن عللـه الـتي تجعلـه مسـاويا لـيس فقـط للفكـر الاسـلامي، أو تعـرف بالحركـة العقلانيـة وهـي منحـى فلسـفي يؤكـد أن الحقيقـة يمكـن أن تكشـف بشـكل أفضـل باسـتخدام العقـل والتحليـل الـواقعي ولـيس بالايمـان والتعـاليم الدينيـة (مصـطفى حسـيبة: المعجـم الفلسـفي، دار الأسـامة للنشر، الأردن، 2008، ص 324)

[3] علـي عبـود محمـداوي: الفلسـفة العربيـة المعاصـرة (الموسـوعة الفلسـفية)، ج2، دار الأمـان للنشـر، الربـاط، ط1، 2013م، ص1480.

إلى تحليـل مضـمون المعـايير بقـدر مـا تتوجـه إلى طريقـة التوصـل إليهـا والتوصـل إليهـا بكـون نقـاش حـر عقلاني.

"إن الفعـل التواصـلي هـو فعـل لا أداتي هـو يرمـي إلى الفهـم والتفـاهم، أي أن التفـاهم لا يفـرض مـن قبـل المشـاركين في عمليـة التواصـل".[1] وعليـه فالتفـاهم بحسـب هابرمـاس الهـدف منـه هـو الوصـول إلى الإتفـاق بـين الـذوات ويكـون اتفاقـا تلقائيـا، بمعـنى أنـه لا يكـون مفروضـا علـى الـذوات، ويـؤدي إلى التفـاهم المتبادل ويكون كذلك متقارب في وجهات النظر والآراء.

يقـول هابرمـاس: "الفعـل التواصـلي بوصـفه وسـيلة مـن أجـل عمليـة تكـوين الـوعي الـذاتي وهـو يبـني حقيقـة في محاضـرات الحيـاة المشـتركة لمجموعـة بدائيـة وعلـى التعامـل ضـمن الأسـرة (الإرث العـائلي) مـن حيـث أنـه المركـز الموجـود لأسـاليب عمـل متبادلـة"[2]، وعلـى هـذا فهابرمـاس وجـد علاقـة بـين الـذات والآخـر ويكـون هـذا كلـه في إطـار الإعـتراف المتبـادل بينهمـا واسـتند إلى هيجـل في تحديـده للـذات هـذا مـن خـلال علاقة الأنا بالآخر وهي علاقة جدلية تفاعلية.

يقـول هابرمـاس: "التوجـه للوصـول إلى التفـاهم مـع الاتجـاه إلى النجـاح التفاعـل الإجتمـاعي والثقافـات وأقـل اسـتقرار أو أكثـر نـزاع أو غـير مسـتقى هـو السـؤال الـذي طرحتـه نظريـة المجتمـع وتركـز علـى إمكانيـة النظـام الإجتمـاعي هـو مشـاريع الإجتمـاعي عملهـا إلى أن الوحـدة الأنـا* الـتي تم إنشـاؤها دون الصـراعات"[3]، فالتفـاهم يسـعى إلى تحقيـق نـوع مـن التفاعـل الاجتمـاعي هـذا كلـه داخـل نظريـة المجتمـع بحيث تركز على علاقة بين الذات والآخر، بين الأنا والآخر ويبرز نوع من الاتفاق والتفاعل.

---

[1] المرجع السابق، ص1489.

[2] يورغن هابرماس: العلم والتقنية، مصدر سابق، ص20.

* الفكـرة المحوريـة في المـذاهب المثاليـة الـتي تنـادي بـأن الـذات هـي العامـل الفعـال والمـنظم ومفهـوم الأنـا في امتثـال هـذه المـذاهب أنـا حاصـل مسـتقل تمامـا للقـدرات الروحانيـة. (بروزنتـال ويـودين: الموسـوعة الفلسـفية، بـيروت، تـر: سمـير كـرم، دار الطليعـة للطباعـة والنشـر، بـيروت، ص 54).

[3] Jurgen habermas, moral et communication, op. cit. p148.

« l'oventation vers l'inter compréhension face a l'orientation vers les interaction socials sont plus ou moins coopératives et stables plus ou mouns conflictuelles ou instables a la question que pose la theore de la sociétés et que poste sur la question que pose lathere la l'action et qui sur la

مسألة ما إذا كانت مكونات نموذج العقلاني للحياة يجب أن تبقى يمكن إذ يكون الارادة إذ ذلك يعتمد ولو من هذه المكونات يجب أن تسمى هذا بسبب تحيز[1]، فإعادة العقلانية يمثل المسار المسموح ليبني العالم الحياة قد تقصد بها المجتمع باعتباره يمثل كل العلاقات بين أفراد المجتمع كذلك الشخصية أي تكوين الفرد لشخصيته من خلال التفاعل المتبادل بحيث تسعى العقلانية إلى تحقيق الاتفاق والتفاهم بين الأفراد.

"إن التفاهم داخل سياق تواصلي عقلاني يضبط العلاقة بين المعرفة والسلطة وبين المعرفة والرغبة شرط حاسم لخلق إجماع حقيقي يستطيع الفرد من خلال مناقشته الخروج من الاستعمار الداخلي الذي فرضته وسائل الإتصال الحديثة"[2]، وعلى هذا يتبين أن التفاهم هو عملية أساسية في الفعل التواصلي حيث تعرض اللغة من أجل عمليات التفاهم، كما نجد أن الغرض منه الوصول إلى تفاهم بينذواتي مشترك من خلال التفاهم يستطيع الفرد تغيير ما بداخله بمعنى الخروج من الذاتية إلى التواصل بينه وبين الآخر.

لذلك سنوضح ثلاث مسوغات للأخذ بالنظرية العقلانية التواصلية:

1.إن مجال الإنسانية متميز عن مجال الطبيعة لذلك لا تصلح العقلانية التواصلية الأداتية وسيلة لتغيير إنشاء علاقة إنسانية.

2.إن فكرة العقل انتهت وجعلت من الوعي صانع وواضع المعايير بطريقة مونولوجية.

=possibilités d'quiont les deusc participent ou (moins) a une interation de coordonnes leurs projets d'action de telles menier qu un alter puisser relier ses action a celle d'un ago sans créer de conftils

[1]Jurgen habermas, raison et lègitimutè, problèmes de légitimation dans le capitalisme avance, tra. par jean Lacoste, ed, Payot, paris, 1978, p192.

« la question de savoir si les composants d'un forme de vie rationnelle dovent etre conserves ne peut faire l'obget d'une formation rationnelle de la volonte qui depend mem de ces composants »

[2] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص177.

3. إن التواصل الإنساني العادي بين الأفراد يعاني من أدلجة وهيمنة خارجة عنه فرضها الوعي الزائف، فالتواصل عبارة عن علاقة حوارية بين فئات المجتمع [1]

وعلى هذا يظهر لنا أن هابرماس رفع من شأن الفلسفة إلى علم اجتماعي لتحول التفكير الفلسفي إلى نظرية نقدية لا يمكن أن تكون مستقلة عن العلوم التجريبية، أي ما يطلق عليه إعادة البناء الإجتماعي التي وظفها في عمل الحوار ووضع فروض تجريبية للمشاكل العملية التي تمارس في الحياة اليومية وأن المعرفة على أنها نظرية اجتماعية تنطلق من العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية.

ويضع هابرماس مفهوما للعقلانية بقوله: "هو أولا استعداد الذي ترهن عليه الذوات قادرة على الكلام والعمل على اكتساب وتطبيق المعرفة القابلة للخطأ، ما دامت مقولات فلسفة الوعي تفرض فهم المعرفة بوصفها حصرا معرفة تخص أمرا ما موجودا في العالم الموضوعي فإن العقلانية تقيس نفسها بأسلوب الذات المنعزلة وهي تتوجه وفقا لمضمون أفكارها"[2]، من خلال التعريف يتجلى أن العقل بالرغم من صفته الإجرائية مبتعدا عن كل ما هو ميتافيزيقي فهو بالضرورة يكون منخرطا في الحياة الإجتماعية لخدمة الفهم المتبادل وتكون العقلانية وسيلة لتوضيح العلاقة بين الأفراد.

يقول هابرماس: "المعرفة بوصفها يتوسطها التواصل عندئذ تقيس المعرفة نفسها بملكة يمتلكها أشخاص يتصفون بالمسؤولية ويشاركون في التفاعل، نوجههم وفقا لمطالب المصداقية تستند إلى اعتراف متبادل بين الذوات"[3]، للإشارة فإن الأشخاص الذين يمتلكون معرفة يصبح لديهم نوع من المسؤولية يساعدهم في ذلك إلى التفاعل بمعنى يكون هناك آراء مختلفة في نفس الوقت متبادلة فيما بينهم.

ويميز هابرماس في أعماله بين ثلاث أشكال لنظريته تكون أساسية للتطور البشري:

1)مصالح معرفية: بمعنى أننا نطور المعرفة لغرض أو هدف معين فمثلا طالب تكون له مصلحة في نوع معينة من المعارف هدفه هو الحصول على شهادة تمكنه من الحصول على الوظيفة والمصالح التي

[1] علي عبود الحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، دار الأما للنشر، الرباط، 2001م، ص179.

[2] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص472,

[3] المصدر نفسه: ص482.

نقصدها التي تكون مشتركة بين الناس وليس العمل هو ما يميز البشر عن الحيوانات بل اللغة واستخدام العلامات للتواصل.

2) المصلحة التقنية: متمثلة في السيطرة على العمليات الطبيعية واستغلالها.

3) المصلحة العملية: هي مصلحة الانعتاق والتحرر وهي مرتبطة باللغة تسعى لتخليص التفاعل والتواصل في العناصر التي تشوهها[1]

إن المصالح التي يطرحها هابرماس هي معرفة تكون مشتركة بين جميع أفراد المجتمع، بالنسبة للمصلحة التقنية هي التي تحقق لنا عرض وهدف ويسعى الإنسان إلى تحقيقها واستغلالها، أما المصلحة العملية تؤدي إلى ظهور النقدية (العلوم النقدية).

"وفعل التواصل بالمعنى التالي "أي أن التفاهم يتم التوصل إليه بأساس عقلاني ذلك أنه تفاهم لا يمكن فرضه فرضا من قبل أي من الطرفين، أداتيا كان ذلك الفرض عن طريق التدخل في الموقف تدخلا مباشرا أم استراتيجيا عن طريق التأثير في قرارات الخصم"[2]، فالتفاهم هو مرادف للفعل التواصلي كما يهدف إلى الإتفاق، عندما يغيب التفاهم في أطراف الفعل التواصلي فإنه سوف يفشل، كما أن التواصل يعمل على خلق وفرض أخلاقيات عقلية ينبغي توفرها في طرفي الحوار لكي يصل كلا من الطرفين إلى نتيجة هذا كله لا يحدث إلا في إطار التواصل.

تعتبر إشكالية العقلانية عند هابرماس مجرد مسألة إجرائية أي أن أساسها هو قدرتها على النقد حيث يأخذ شكلين أساسين هما:

الشكل الأول: يتعلق بالعقلانية الأداتية تتجسد في البراغماتية، حيث نجد أن هذا الشكل يجسد كيفية تحقيق العقلانية الواقعية[3]

---

[1] أيان كريب: النظرية الإجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، تر: حسين فروم، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ص308.

[2] المرجع نفسه، ص307.

[3] عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار العربية للعلوم، ط1، 2005م، ص361.

الشـكل الثـاني: يتمثـل في العقلانيـة التواصـلية، تركـز علـى قـوة الإقنـاع المتمركـزة علـة قـوة الإقنـاع المتولـدة مـن الإجمـاع تتوصـل إليهـا دون إكـراه خـارجي وتوصـف معرفـة بأنهـا معرفـة عقلانيـة مـتى اسـتندت إلى قـوة البرهـان[1]، فالعقلانيـة تسـتند بدرجـة إلى قـوة الإقنـاع وتقـديم الحجـة ومـتى كانـت الحجـة كانـت المعرفـة واضحة، ومعرفة عقلانية أي أن قوة الإقناع يولد لنا معرفة عقلانية.

إن مفهـومي الفعـل والتواصـل يعتـبران مفتـاح للوصـول إلى المفهـوم الإجمـالي، هكـذا يعـرّف الفعـل بأنـه الـتحكم في الأوضـاع الـتي تفـرض وجـود تفاعـل متبـادل بـين فـاعلين، كمـا أن الفعـل لـيس حركـة جسـدية آليـة ولكنـه سـلوك متـزن بمعـنى يمكـن أن يكـون قاسمـا مشـتركا بـين الفاعـل المنفـرد وشـركائه.[2] إن الفعـل هـو ذلـك المفهـوم الـذي مـن خلالـه يحـدث التفاعـل بـين الأفـراد كمـا يعتـبر سـلوك موجـود عنـد كـل شـخص بمعـنى موجـود عنـد كافـة النـاس، أي يمكـن لأي فـرد أن يقـوم بفعـل هـو بـذلك قاسـم مشـترك بـين الذوات.

يـرى هابرمـاس في كتابـه نظريـة الفعـل التواصـلي أن فيـبر ينظـر إلى مفهـوم العقلانيـة العمليـة مـن ثـلاث وجهـات اسـتخدام الوسـائل والتوجـه نحـو العقلانيـة الأداتيـة، فتجـده قسـم النشـاط العقلـي إلى ثـلاث مجـالات: المجـالات الواقعيـة الموضـوعية العمليـة، مجـال المعـايير المشـروعية أو المشـروعية الأخلاقيـة، مجـال القـيم والـدلالات الرمزيـة والمعـايير الجماليـة، لكـن هابرمـاس حـاول النظـر في المجـالات الثلاثـة هـذا مـن أجـل الوضـع العقلانيـة للمجتمـع حـاول دمـج هـذه المجـالات (العلـم ـ الأخـلاق ـ الفـن) الـتي فصـلها فيـبر عـن بعضـها.[3] نجـد أن فيـبر قـد ميـز أربعـة مـن أفعـال (الفعـل العـاطفي حيـث نجـد أن هـذا الأخـير يتأسـس مـن عاطفـة الفـرد، أمـا بالنسـبة للفعـل الإجتمـاعي مـرتبط بالسـلوك، أمـا الفعـل العقـلاني يـتم فيـه اختيـار الوسـائل لتحقيـق الأهـداف اللازمـة، ويظهـر أن فييـبر فصـل بـين كـل مـن هـذه المجـالات علـى عكـس هابرمـاس الـذي ربط بينها.

---

[1] المرجع السابق، ص 361.

[2] عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص362.

[3] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق التواصل، مرجع سابق، ص141.

المطلب الثاني: مراحل الفعل التواصلي.

إن الفعل التواصلي يمر بثلاث مراحل:

1)مرحلة التفاعل التي يتوسطها رموز: يقوم على (القول ـ الفعل) فعن طريق القول يتم التعبير عن رغبة في سلوك عن طريق النية في تحقيق الفعل، إن مدلول كل منهما يحدد الآخر، من خلاله يتم التبادل بين الذوات تشكلان البينذاتي.

2)مرحلة الخطاب التمييز بالنسبة لمضمونه: هنا انفصال الفعل عن القول، حيث نجد في هذه المرحلة أنه لا يمكن أن يخص شيء واحد بل يدخل موقف الملاحظ من خلالها يتم التنسيق بين رغبتين متبادلتين في السلوك بحيث يشكلان نظاما من الدوافع المشتركة والمتكاملة وهنا يشكل الدور الإجتماعي ومن ثمة نميز بين الأفعال والمعايير[1]، و عليه فالتفاعل ضرورة تلازم أن يكون عنصرين أساسين لا يمكن الفصل بينهما، نقصد هنا (الفعل والقول) لا يمكن أن نتصور الفعل بدون القول، فهما مكملان لعضهما، أما في المرحلة الثانية نجد أن هناك انفصال الفعل عن القول ومن خلالها يتم تحديد الحوار بين الطرفين.

يقول هابرماس: "إن الخطاب يشير إلى معايير الفعل، أي معايير بصفة عامة بما في ذلك المعايير القانونية والأخلاقية، ويرتبط هذا المبدأ بالخطابات المعنية بالمعايير لا الخطاب مطلقا لا تنطوي الخطابات كلها على المعايير على سبيل المثال لا تنطبق الخطابات النظرية والجمالية لا تنطوي على المعايير وربما كان أن نطلق على مبدأ الخطاب مبدأ صحة المعايير".[2] من خلال القول يتضح أن هابرماس حدد مجموعة من المعايير الأساسية وإن هناك علاقة بين الفعل والكلام أي بين ما هو نظري وما هو تطبيقي، كما أنه يهتم بما هو فعلي وقولي من القول يتم الوصول إلى الإتفاق هدفه الوصول إلى التفاهم.

---

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص180.

[2] جيمس جوردن فيليسون: يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، تر: أحمد محمد الروبي، مؤسسة الهنداوي، ط1، 2015م، ص90.

يقـول هابرمـاس: "... القـول والفعـل متبـاينين في إطـار تواصـلي فـردي وذي طـابع إلزامـي يعـبر العنصـر (أ) عـن طريـق رمـز تواصـلي عـن رغبـة سـلوك مـا ويليـه العنصـر (ب) مـن خـلال فعـل مـا بنيـة لتلبيـة رغبـة (أ)، إن مـدلول الرمـز التواصـلي والفعـل نفسـه يحـدد كـل منهمـا الآخـر، ويفـترض أن العنصـران الشـريكان أسـاس لأنـه بإمكانهمـا تبـادل موقفهمـا في العلاقـات الشخصـية.[1] وعليـه فـالقول مكمـل للفعـل فهمـا شـيء واحـد لا يمكـن الاسـتغناء عـن أحـدهما كـذلك لا يكـون بعيـد عـن بعضـهما الـبعض، أي أن القول والفعل يشكلان في اتحادهما عنصرا واحد.

يقـول هابرمـاس: "يفصـل كـل مـن القـول والفعـل عـن بعضـهما لأول مـرة، يمكـن أن نقـيم (أ) و (ب) صـلة الموقـف الإنجـازي لعنصـر يشـارك في التفاعـل والموقـف الإفتراضـي الملاحـظ ولا يمكـن لكـل منهمـا أن يعتمـد العنصـر فقـط بـل يمكـن لهمـا أن يبـادلا تصـور المشـارك الـذي هـو تصـورهما لتصـور الملاحـظ، لـذلك يمكـن التنسـيق بـين رغبتـين متبـادلتين في السـلوك"[2]، فهابرمـاس يؤكـد علـى الإنفصـال بـين القـول والفعـل، وفي نفـس الوقـت أن كلاهمـا مختلـف عـن الآخـر، فهمـا بـذلك شـكلان لتصـور القـول والفعـل ويمثلان شيئا واحدا.

3)المرحلـة الثالثـة مرحلـة الخطـاب البرهـاني الحجـاجي: يمكـن أن تشـكل مقتضـيات الصـلاحية الـتي تـرتبط بأفعـال اللغـة وكـذلك معالجـة افتراضـا مفوضـات ومعـايرا، أي تمثـل المبـدأ الـتي تركـز عليـه الأفعـال، أي نعـالج ملفوظـات بحيـث يمكـن أن يكـون الشـأن كـذلك أو لا يكـون ونعـالج المعـايير بحيـث تكـون قابلـة لأنهـا تعتـبر شـرعية وغـير شـرعية، حيـث نجـد أن المرحلـة الأولى لا يـتم إدراك الأفعـال والـدوافع والـذوات الفاعلـة، أمـا المرحلـة الثانيـة يـتم التمييـز بـين الأفعـال والمعـايير، أمـا المرحلـة الثالثـة فيـتم التمييـز بـين المبـادئ الـتي تنـتج المعـايير هـذه الأخـيرة تنقـل المبـادئ بـدورها والـذوات الفاعلـة ودوافعهـا في نفـس الوقـت تكـون وراء المعـايير[3]، إذن فالتفـاهم بـين أطـراف الخطـاب هـو الإتفـاق المشـترك بـين الـذوات أي التـذاوت المشـترك، والتفـاهم

[1] يورغن هابرماس: بعد ماركس، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر، سوريا، ص92.

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص ص92، 93.

[3] المصدر نفسه، ص ص94، 95.

المتبـادل وكـذلك الإقـتراب في الآراء عـن طريـق المناقشـة والحـوار ممـا سـيؤدي إلى التقـارب في الآراء وكـذلك التفاعل الإيجابي بين المتحاورين.

"إن التفـاهم لا يعـني عمليـة تجريبيـة تـؤدي إلى الإتفـاق الحثـي وإنمـا هـو عمليـة إقنـاع متبـادل تنسـيق أفعـال أطـراف متعـددة تشـارك في أسـاس التعليـل بواسـطة الحجـج، إن التفـاهم يعـني التواصـل مـن أجـل اتفـاق صـالح"[1]، ومـن هـذا يتضـح أن التفـاهم مبـني في أساسـه علـى الإتفـاق وكـذلك علـى الإقنـاع بحيـث يكون هناك تبادل في الحجج من أجل الوصول إلى اتفاق وتفاهم، ويقوم كذلك على البرهنة والحوار.

[1] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص212.

المبحث الثاني: آليات الفعل التواصلي

المطلب الأول: اللغة والتفاهم

تشكل اللغة حسب هابرماس الأداة أو الوسيلة للتواصل كما تعتبر مادته لما تحتويه من نقد وصنع للمعايير، لذلك تصبح اللغة هي المنعطف الأساسي في فكر هابرماس، لذلك تصبح اللغة الأداة المحورية التي نعتمد عليها في الحوار والتواصل، وإن العقلانية التواصلية تنظر إلى اللغة على أنها وسيلة للبيان والتصوير ونظر إليها من وظيفتها التداولية وعمقها التواصلي، كما أن اللغة لها الفضل في معالجة الفرد والمجتمع من الأمراض الإجتماعية التي تم كبتها في اللاشعور بجانبها (الفردي و الإجتماعي) ويحدد التواصل بفاعليته مدى صلاحية الأداة المستخدمة وتحددها عدة خصائص (الدلالة ـ البساطة ـ الوضوح ـ العموم ـ الرموز).[1] وعلى هذا يتبين أن اللغة تعتبر العنصر أو الوسيلة الأساسية في عملية التواصل وهي بمثابة منبع له، كما نجد أن اللغة باعتبارها المادة التي بموجبها يتم تواصل الفرد مع الآخرين يحدث بينهم الآخرين، بضرورة يكون هذا الحوار مستندا للغة، لذلك تعتبر أساسية في الحوار والتواصل.

يقول هابرماس: "الإستعمال التواصلي لغة مترابطة في قضايا خاصة شكل خاص يشكل حياتنا الإجتماعية ـ الثقافية والمكونة لمرحلة إعادة إنتاج اجتماعي بشكل خاص للحياة من زاوية فلسفة اللغة الأصل المشترك والقيمة المشتركة الأساسية لوظائف الثلاث لسان تظهر من تتخلى عن المستوى التحليلي للحكم أو القضية".[2] لقد وجد هابرماس صلة وثيقة بين اللغة والمجتمع واعتبر أن استعمال الكلام لا يكون معرفة تعبيرية فحسب بل اجتماعية تواصلية وكذلك باعتبار أن اللغة عنصر فعال للتعبير عن المجتمع.

يقول هابرماس "وتحديدا الإستعمال التواصلي للقضايا يقدم أفعال الكلام بنية تلقي فيها ثلاث مكونات، مكون جملي مهمته تصور (ذكر) أحوال الشيء، مكون فعل منطوق مهمته عقد

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص208.

[2] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص487.

علاقات بين الأشخاص، مكون أخير يعبر عن قصد المتكلم"[1]، وبهذا يحدد هابرماس ثلاث مكونات أساسية للأفعال في الكلام هي تصور وإنشاء علاقات بين الأشخاص وإن أفعال الكلام مرتبطة بالتداوليات، هذه الأخيرة أي صياغة الألفاظ ، كما أن مهمة التحليل هو إعادة بناء لغة تهدف للكشف عنها.

إن التفاهم ينسق بين الأفعال وحسب هابرماس أن الأطراف المشاركة في التفاعل تتفاهم حول صلاحيته وتعترف بادعاءات الصلاحية التي تعلن عنها بشكل متبادل فمفهوم النشاط التواصلي يفرض اللغة باعتبارها وساطة من أجل عمليات التفاهم ضمن طبيعة خاصة فإن الأطراف المشاركة في التفاعل تعبئ كل إمكاناتها العقلية من أجل الوصول إلى التفاهم، أي أن المشاركين في التفاعل يهدف إلى الإجماع ففي أثناء الفاعلية التواصلية يتوقف التفاعل على الإمكانية التي يتوفر عليها المشاركون على التفاهم بشكل مباشر أو متبادل، وعليه فالتفاهم ينظر إليه بوصفه اتفاق بين الذوات قادرة على الكلام أو الفعل[2]، إذن فالنشاط التواصلي يعتبر أن اللغة تسعى للوصول إلى التفاهم بين الأطراف المشاركين في عملية التواصل كما ينظر إلى التفاهم بين الذوات أو اتفاق بينهما و يتجلى كذلك في علاقة قدرته على الكلام وعلى الفعل.

"إن اللغة تهدف قبليا الإتصال بيد أن الإتصال تفترض مقدما أطراف على قدم المساواة وتحررا من العوامل الخارجية مثل السيطرة والندرة و الانفعال ونحن المحدثين نكون دائما مشاركين بالفعل من تلك الفكرة عن ذاته مشتركة عقلية تجمع النظرية والتطبيق"[3]، إن العقل الإتصالي الذي يتميز بوصفه تعبير عن هيكلة الإتصال اللغوي بين الأفراد، كما يمكن أن يعتبر العقل الإتصالي أنه حركة دائرة بمعنى أن الفاعل يتحكم في موقفه لكونه مسؤولا عليها أما بالنسبة للمتأثر بكل ما يحدث له باعتباره يشكل نتاج مجموعات تتمسك بها.

---

[1] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص487.

[2] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص ص191، 192.

[3] زوديجر بونير: الفلسفة الألمانية الحديثة، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ص255.

"إن التواصل عند هابرماس ينظر إلى اللغة في بعدها البراغماتي فهو يعني التي تكون منغمسة في الإنتاج والإبداع، فإن التفاهم أو الوفاق (هو مع اتفاق مع فيغنشتاين الذي يري أن مفاهيمه حول اللغة والتفاهم تعبر عن حقيقة الجهد الذي بذله أغلب فلاسفة اللغة يرون في الإندماج بين اللغة والتفاهم اختزالا للظاهرة اللغوية المعاصرة، إن مفهوم الإتصال في شكله الخام والذي استلهم من العقل التواصلي دعائم بقائه ليس عن استراتيجية من الاستراتيجيات من حيث كل استراتيجية تناسب مستوى معين من التطور اللغوي والدلالي".[1] ينظر هابرماس إلى اللغة ببعدها البراغماتي أي إنتاج التفاهم باعتبارها كوسيط بين الذوات، لكن في بعض الأحيان يمكن استعمالها من أجل التلاعب والخداع بدل التفاهم نجد أن الفرد يتصرف وفق ما تمليه مصلحته دون أن يراعي مصلحة الآخرين.

وعليه نؤكد على أن العلاقة بين اللغة والتواصل عند هابرماس حيث كانت اللغة أهم في تكوين نظريته في الفعل التواصلي، ونجد هابرماس اهتم بفلاسفة اللغة (جون أوستين*، وجون سيرل**) في نظرية أفعال الكلام، يعد جون أوستين أن دور اللغة هو إخبار عن هذا العالم، فالقضايا النافعة هي التي تقيل الصدق أو الكذب، أما جون سيرل طور نظرية أفعال الكلام واقترح معايير لتصنيف أفعال الكلام، ويؤكد أن النشاط الفعلي له أهمية من حيث قدرته على استخدام اللغة والرموز والعلاقات من أجل تحقيق التواصل بين البشر[2]، وتعتبر نظرية الفعل التواصلي أن اللغة تشكل عنصرا فعالا في تكوينها، أي أن اللغة باعتبارها عنصر في تشكيل الفعل التواصلي، أي العقل له أهمية في كيفية استخدام اللغة من أجل الوصول إلى تحقيق ما يعرف التواصل بين الناس، كما أن أوستين ربط اللغة بالمعنى والسياق حيث نجد أن هابرماس يجمع بين آراء أوستين وسيرل.

---

[1] عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة العربية المعاصرة، مرجع سابق، ص363.

* فيلسوف لغة انجليزي، جاءت نظريته في أفعال الكلام لتجسيد موقف مضاد للاتجاه السائد لدى فلاسفة المنطق الوضعي.(جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ، مرجع سابق، ص106.)

** من أبرز الفلاسفة المحدثين ينتمي لتيار الفلسفة التحليلية، درس في جامعة كاليفورنيا، من أشهر أعماله أفعال الكلام، والتعبير والمعنى.(سعيد العاني، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2006م، ص5.)

[2] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص149.

فاللغـة في نظريـة هابرمـاس "تتعهـد علـى عمليـات اجتماعيـة ليسـت لغويـة في طبيعتهـا وإنمـا هـي واسـطة لقـوة اجتماعيـة، وهـذا مـا أوضـح مـدى اهتمـام هابرمـاس بفلسـفة اللغـة الهرمونيطيقيـا"[1]، فالهـدف والسـعي وراء تحقيـق هـذا النـوع مـن الحـوار والتواصـل بـين النـاس أي هنـا يسـتند في العمليـة الحواريـة الإكـراه والضـغط، أي أن هنـاك علاقـة بـين نظريـة اللغـة ونظريـة المجتمـع، وقـد جعـل مـن الكـلام لا يكـون معرفـة تفسيرية إنما هي نظرية اجتماعية تواصلية.

أشـهر مـن اهتمـوا بأفعـال الكـلام هـو أوسـتن و سـيرل، فأوسـتن ميـز ثـلاث أنـواع مـن أفعـال الكـلام (الأفعـال العرضـية، الأفعـال التعبيريـة، الأفعـال التأثيريـة). ويؤكـد سـيرل أن اللغـة هـي تأديـة أفعـال الكـلام فالتواصـل في رأيـه يتضـمن بالضـرورة أفعـال الكـلام ومالـه مـن المعـنى، فهابرمـاس يؤكـد أن نظريتهمـا في الأفعـال تمثـل نقطـة الإنتقـال الواعـدة إلى البراهيطيقـا العامـة كمـا نجـد أنـه لم يكتـف بنظريتهمـا بـل أشـار إلى محـاولات آخـرين مـن الفلاسـفة كـان هـدف هابرمـاس هـو الوصـول إلى التواصـل أو تحقيـق غـرض مـن الفعـل التواصـلي.[2] وعليـه فأوسـتين ربـط اللغـة بـالمعنى أو السـياق، وهابرمـاس دمـج بـين الـرأيين في نظريتـه بمعـنى أنـه مـادام الفعـل التواصـلي موجهـا نحـو التفـاهم فـإن الفعـل الكلامـي ينبغـي الحكـم عليـه مـن أجـل حصـول التفاهم.

ونجـد نظريـة تشومسـكي تقـول أن الأداء اللغـوي (أي مـا يعـرف بالقـدرة اللغويـة) أي اسـتخدام لغتنـا في فهـم الجملـة وكيفيـة نطقهـا بـدون نفـي هـو أمـر فطـري، ونجـد هابرمـاس اسـتند إلى نظريـة تشومسـكي عـن نظريتـه اللغويـة الـتي تبـدو عنصـرا مـن الفلسـفة المثاليـة، تسـتند لغـة يظـل مـائلا فيهـا ويؤكـد علـى أن هـذا يتطلـب مـن المتحـدث بجانـب القـدرة اللغويـة قـدرة أخـرى هـي القـدرة التواصـلية، وتسـتخلص مـن البراغماتيـة العامـة عـدة ملامـح (أسـاس الكـلام، القـدرة ، الأداء، الصـورة المعياريـة، الفعـل، الكليـات، الكـلام المثـالي)، ونجـد أن هابرمـاس قـد طـوّر مفهـوم الكفايـة اللغويـة إلى مفهـوم الكفايـة التواصـلية، فتصـبح أشمـل مـن مجـرد الإنجـاز اللغـوي[3]، مـن خـلال هـذا يتضـح أن تشومسـكي ميـز بـين الكفايـة اللغويـة في المعرفـة

[1] المرجع السابق، ص156.

[2] المرجع نفسه، ص158.

3 المرجع نفسه، ص 158-160.

الظنيـة لمـتكلم اللغـة وبـين الأداء اللغـوي، أي طريقـة اسـتعماله للكفايـة اللغويـة والـتي تهـدف للتواصـل أي أنهـا تهـدف لاكتشـاف وتنظـيم القواعـد الـتي تمثـل اللغـة الكامنـة، أمـا بالنسـبة لـلأداء الكلامـي فيـدرس المبادئ التي يستعملها في إنتاج الكلام.

يقـول هابرمـاس: "الهـدف الأول ومـن ثم عبـور الاستنسـاخ الثقـافي التكامـل الإجتمـاعي والتنشـئة الاجتماعيـة مـن القواعـد المقدسـة في التواصـل اللغـوي، والتواصـل موجـه نحـو العمـل كمـا يفـترض الفعـل التواصـلي وضـائف المركزيـة"[1]، فالسـياق الاجتمـاعي و الثقـافي يسـاعد علـى بلـورة وإرسـاء اللغـة وهـذا كلـه في إطـار مـا يعـرف بالتواصـل الـذي مـن خلالـه يكـون هنـاك علاقـة بـين الفـرد والآخـر مـن خـلال السـياق الاجتماعي.

نجـد أن تشومسـكي اهـتم بـالنحو الصـوري أي يقصـد بهـا الأنظمـة القواعـد الصـورية الـتي تحكـم الرمـوز، كمـا يسـعى إلى تحديـد ملامـح الأنحـاء الكليـة كمجموعـة مجـردة كمـا إن هابرمـاس لا يهـتم بالأنحـاء الكونيـة الـتي تضـبط شـروط الممارسـة الإجتماعيـة السـليمة القائمـة علـى التـداول السـليم للشـروط المتداولـة للغـة[2]، فالقواعـد التداوليـة تهـتم مباشـرة بأولويـة اللغـة يرجـع لهـا الفضـل في إنتـاج الفـرد للعمـل فنجـد أن العملية الإنتاج متعلقة بالأساس في القواعد التوليدية القائمة ضمن الكفاية اللغوية.

لقـد تبـنى هابرمـاس المسـلمة "المـتكلم المثـالي" عنـد تشومسـكي الـذي يوسـعه التعـرف علـى اللغـة في نحـو توليـدي غـير محـدود ووسـع مـن الكفايـة اللغويـة إلى الكفايـة التواصـلية الـتي تصـبح أشمـل مـن الإنجـاز اللغـوي وإن فهـم القضـايا اللغويـة فهمنـا للمعلومـات ويحـدد الاسـتعمال اللغـوي للتـداول ويهـتم بصـدق أو بطـلان مـا يقولـه المـتكلم، ويمـتحن مصـداقية مـا يـتلفظ بـه وهنـا يظهـر الإهتمـام للعلاقـة بـين المعـنى والصـدق

[1] jurgen habermas, theorie de l'agir communicationnel t2, rationalité de l'gir et rationalisation de la société tr : gean lomus Schlegel ed fayard, 1987,p120

« vise par le passage de la reproduction culturelle de l'integration social et la sicialisation des bases du sacré dans la communication linguistique et dans l'gir oriente vers la communication assume des fonctions centrales dans société »

[2] مصدق حسن: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م، ص128.

وضبط آلية العلاقة التي يضعها المتكلم تحت تصرفه في تسمية الأشياء واستعماله لغة[1]، نجد أن المتكلم يكون له القصد في تبليغ مضمون الكلام للمخاطب، وكذلك الإفصاح عن مقاصده وهذا من أجل تمكين المخاطب من تصديق أقوال المتكلم كذلك له الدور في التوليد والإنتقال من الكفاية اللغوية إلى الكفاية التواصلية.

يقول هابرماس: "اللغة في العمل هو القول كما يتم استخدامها من قبل المشاركين للوصول إلى فهم مشترك كشيء أو لتحقيق نفس الطريقة للرؤية، ولكن لا ينبغي أن يكون وجهة نظر استعارة مراقب أي انظر الأمر الذي يتوغل في الفعل أن اللغة المستخدمة يناسب أكثر في علاقة أكثر"[2]، إذن فاللغة تهدف للوصول إلى نوع من التفاهم، وهذا التفاعل يكون داخل المجتمع أي تفاعل بين المشاركين هدفهم الأساسي هو تحقيق التفاهم.

إن ارتباط اللغة بالفعل التواصلي يحدد هابرماس هذا من خلال ما يتميز على الأفعال الاستراتيجية والأدائية والمسرحية، والهدف منه البحث عن الوسائل التي تمكنه من التأثير على الآخر، وكذلك البحث عن كيفية الوصول إلى التفاهم والإتفاق بدون إكراه وضغط، كما أن اللغة تلعب دورا من خلال اعتماد كل ذات على صلاحية خاصة، وكذلك من خلال تحديد الاتفاق والتأثير كمفاهيم مرتبطة بالفعل التواصلي[3]

نجد هابرماس انتقد التفاعلية الرمزية حيث يؤكد أن هذه الأخيرة لتجاوزها للأفعال الاجتماعية فهي لم تحدد مفهوم الفعل الاجتماعي عندما تطرأ على حديث عن التنشئة الاجتماعية، ولم تشر إلى

---

[1] المرجع السابق، ص128.

[2] jurgen habermas, moral communication, op, cit, p45.

« la langage au travail c'est-à-dire tel qui il est utilisé par les participant pour accéder a la compréhension commune d'un chose ou pour attendant il ne faundrait pas que la metaphve optique de l'observateur qui voir quelle chose plonge dans l'ombre le fait que la langage utilisé performativement se loge dans relation »

[3] محمد الأشهب: الفلسفة السياسية عند هابرماس، دفاتر سياسية، ط1، 2006م، 23.

دور اللغة، وهابرماس تجاوز ذلك في نظرية الفعل التواصلي. وعليه فاللغة مرتبطة بالفعل التواصلي وتعتبر اللغة عنصر فعال يسعى بها الفرد إلى التأثير على الآخر من خلال مختلف الرموز والعبارات التي يستخدمها للتأثير عليه، والهدف من هذا هو الوصول إلى الاتفاق والتفاهم. كما نجد أن الوصول إلى الاتفاق دون أي ضغط.

يقول هابرماس: "يسند إلى الرمز بوصفه اسما للأشياء وظيفة مزدوجة من جهة توجد قوة التمثيل في استحضار معطى غير مباشر في آخر، على الرغم من أنه معطى مباشر ولا يوجد من أجل ذاته وإنما في موقع من هو آخر، يبين الرمز الممثل موضوعا ما أو حالة ما بوصفهما آخر ويميزهما في معناهما بالنسبة إلينا من جهة ثانية لقد خلقنا نحن رموزا"[1]، من خلال القول يتضح أن الرمز يشير بدرجة إلى التعريف بأسماء لمختلف الأشياء حيث شكل الرمز الموضوع الفرد في استخدامه للغة، وهذه الرموز تكون واضحة، كذلك باعتبار أن هذا العالم الذي نعيشه هو حيز من الرموز يتداولونه فيما بينهم.

الوضعية المعرفية مفادها استخدام اللغة كأداة رمزية تشير إلى الواقع، وقائع العالم الخارجي ولا نريد عملها على تصوير الوقائع وعبارات اللغة هنا عبارات تجريبية[2]، وعليه فاستخدام اللغة باعتبارها أداة رمزية يستخدمها الإنسان ليعبر عن رغباته وكذلك مختلف تطلعاته وميولاته كما يمكن أن نقول أنها تصوير للواقع ونعبر عليه من خلال استخدام مختلف الرموز.

المطلب الثاني: إيتيقا النقاش*

إن مفهوم الايتيقا هو بحث في الفلسفة وكذلك استكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية هو مفهوم قديم منذ أفلاطون و أرسطو ...الخ، لكن ما تغير في هذا المجال هو المعنى المقارب للمعاصرة، والايتيقا هي الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم العلاقات معها فيما تحافظ

[1] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص21.

[2] أودنية سليم: فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، 2008م، ص21.

* يقصد بها الشروط التي تحكم الفعل الانساني التواصلي وهذه الشروط يجب أن تتمتع ببعد قبلي وسابق بالفعل وهي شروط تتجلى بصفات تداولية لغوية من جهة وقيمية معيارية من جهة أخرى (انظر: علي عبود المحمداوي: الاشكالية السياسية للحداثة، ص 374)

الأخـلاق بمهمتهـا التاريخيـة وهـي وضـع المبـادئ موضـع التطبيـق والممارسـة، وإن مفهـوم الايتيقـا المناقشـة ومفهـوم التواصـل توجـد علاقـة جدليـة بمعـنى لا يمكـن أن نفهـم أحـدهما فهمـا حقيقيـا دون العـودة إلى الآخـر[1]، وعليـه فالايتيقـا هـي جملـة مـن المبـادئ والأوامـر لكيفيـة التعامـل بـين الأفـراد وهـذا حسـب إطـار الحيـاة كمـا نجـد أنـا أرسـطو يعتـبر أن الايتيقـا معرفـة متعلقـة بالفعـل هـي في الأخـير مرتبطـة بـالخير الأسمى هـو بذلك تمثل غاية وإن الخير الأسمى عنده هو السعادة.

يقـول هابرمـاس: "إن التواصـل كمـا هـو نشـاط تبـادلي علائقـي، فإنـه يتصـور شـتى كالأصـوات والإشـارات والصـور لكـن التواصـل اللغـوي يبقـى أرقـى أنـواع التواصـل مـن تطـرح الإيتيقيـة للتواصـل أو لنقـل مـن هنـا نصـل إلى بعـث إيتيقـا معينـة للتواصـل مـادام التواصـل متبـادل بـين المرسـل والمتلقـي رسـائل غـير بريئـة"[2]، إذن فالتواصـل بمختلـف وسـائله هـو نشـاط عقـلاني، حيـث نجـد أن هابرمـاس مـن خـلال انتقالـه مـن فلسـفة الـوعي إلى فلسـفة اللغـة كمـا وظـف أخلاقيـات تداوليـة مختلفـة الأخلاقيـات الدينيـة وكـذلك الأخلاقيـات الروحيـة، هـي الايتيقـا نجـد أن هابرمـاس سـعى إلى تحقيـق التفـاهم المتبـادل والحـوار بـين الأفـراد وسعى بالتداولية إلى ربط العلاقات الإجتماعية.

لقد حاول "آبل" في كتابه "ايتيقا المناقشة" أن يضع ما يعرف بضرورة ايتيقية ترستندالية*:

1/ ضرورة توفير ايتيقا خاصة بالحياة السعيدة.

2/ الحياة الايتيقية جوهرية خاصة بالجماعات الإنسانية المختلفة مرتبطة بالعهد الايتيقي للعامة

3/ أن ايتيقا المناقشة تنظر إلى مسألة المنفعة هي مسألة مكملة ومرتبطة ببرنامج الايتيقا

---

[1] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للنشر، ط1، 2010م، ص7.

[2] المصدر نفسه: ص ص7، 8.

* كل مذهب يقوم على مبادئ وصور تداولية تحكم التجربة حركة فلسفية دينية معاصرة تعارض فلاسفة القرن الثامن عشر وترى أن كل تجربة مهما صغرت تقودنا إلى ما يكشف عن الكون بأسره من ممثليها (إبراهيم مذكور المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع المصرية، 1983، ص44).

4/ أن ايتيقا المناقشة تقر باللجوء إلى مؤثرات أخلاقية مصنعة بمعنى اللجوء إلى مجال يناقض مع وصفها الخاص فمفاهيم (الشفقة، الحب، لا يمكن النظر إليها بوصفها مبادئ لإرساء الأخلاق بل مصادر ضرورية محفزة في مستوى الممارسة التجريبية.[1]

آبل من خلال تأسيسه لنظرية ترستندالية استند إلى التضارب الذاتي لأي موقف قابل، وإن النقاش تقوده مجموعة من القواعد الخاصة تجعل منه نشاط تواصلي حيث يقوم على بحث جماعي يهدف إلى إثبات صلاحيته الكلية.

يبني "كارل أوتو آبل" خلافا لهابرماس منظورا متعاليا إذ تشكل الافتراضات بالنسبة له شروط فعلية لإقامة الحجة، كما أن الأفعال اللغوية تندرج في سياق البحث عن إقامة البرهان، أما هابرماس يريد تأسيس ذلك على فلسفة متعالية بل يأمل أن تستند ممارسة البرهنة إلى تأسيس واقعي وترجمة مادية ملموسة للحالة المثالية، في شروط النقاش هي (الصدق، المسؤولية، الحقيقة) بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدود تعتمد على المناقشة العقلانية، كما نجد أن هذه الشروط تبلور في الشروط المعيارية في قواعد إجرائية تهدف إلى تحقيق علاقات تداولية بين المتحاورين، واستند إلى التماثل والمبادلة مع حق المساواة لمشاركة الجميع في النقاش[2] ، وعلى هذا فإن الأخلاق التي تطرق إليها آبل وهابرماس لا تبحث عن الحكمة، كما أنها تنفذ أخلاق المنفعة تقدم ذاتها في سياق الأخلاق الكانطية بمنظور جديد هما في منظور آبل وهابرماس يقدم إجراءات كونية تفرض على المنافسين.

إن الايتيقا كما صورها آبل لا تهدف إلى تأسيس معايير مؤسسة قبلية وإنما تهدف عكس ذلك إلى تأسيس شكل إجرائي يسهل اكتسابية النقاش والحوار بغرض الوصول إلى نتائج محددة، يلخص في القرارات مع الملاحظة في غاية الأهمية هي أن النقاش نقاشا حقيقيا واقعي يدور حول مصالح حقيقية تمس حياة البشر كما هي متجلية في واقعهم[3] فأخلاق المخاطبة هذه الفلسفة تسمى أو نطلق عليها

---

[1] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص10.

[2] حسن مصدق: يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص150، 151.

[3] كارل أوتو آبل: التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم، ط1، 2005م، ص20.

برغماتيـة كونيـة وتنطلـق مـن الأطروحـات والعقـل هـو القاسـم المشـترك بـين النـاس، ويتميـز العقـل بقدرتـه على الفهم السليم.

يقـول هابرمـاس: "إن الإنسـان ايتيقـي تواصـلي انطلاقـا مـن أن التواصـل بمختلـف تجلياتـه الماديـة والدلاليـة هـو الرمـز الـدال مـن رمـوز المرحلـة المعاصـرة، ويكفـي أن العـالم المـادي ذاتـه صـار قريـة صـغيرة، فكيـف إذا تعلـق الأمـر مـا هـو نظـري قابـل للتجريـد، فالتواصـل يلامـس حقـول معرفيـة متعـددة كالسيسـيولوجيا النظريـة ومبحثهـا العـام إيتيقـا المناقشـة"[1]، وعليـه فـإن الفـرد هـو صـانع للأخـلاق وهـو يشـكل بـذلك تواصـل مـع ذاتـه وبـين الآخـرين، وكمـا هـو واضـح أن التواصـل هـو بمثابـة تجلـي العصـر المعاصر، وإن التواصل مرتبط بإيتيقا المناقشة أي أخلاقية النقاش.

إذن فالإيتيقـا كمـا صـورها آبـل مرتبطـة بالمسـؤولية حيـث تظهـر لنـا كفلسـفة التـزام كإجابـة عـن البعـد التـداولي الترسـتندالي، إن الايتيقـا تضـع موضـع تسـاؤل تكـون داخـل الفلسـفة العربيـة وبالتحديـد الفلسفة الحديثة أهمها:

1)الأنانية: المنهجية منحدرة إلينا من ثنايا الفلسفة الفينومينولوجية لهوسرل (علاقة الذات بالموضوع).

2)اللغو والتواصل عنصران ثانويان وطغيان قياسا بالفكر الذي يميز بأنه فكر متفرد[2]

3)ضرورة فهـم فعـل التأسـيس بمـا هـو اسـتنباط لشـيء مـا انطلاقـا مـن شـيء آخـر حيـث نجـد أن مسـعى آبـل في إيتيقـا مناقشـة هـذه هـو بلـوغ تداوليـة ترسـتندالية غايتهـا القصـوى تأسـيس مـا يعـرف (العدالـة، التضـامن والمسـؤولية) أمـا هابرمـاس فقـد ربطهـا بالحقيقـة، أي ايتيقـا الحقيقـة لا تسـعى فحسـب توضـيح الفهـم البينذاتيـة، إنمـا تهـدف إلى تحديـد الافتراضـات التداوليـة[3] فآبـل مـن خـلال تأسيسـه تداوليـة ترسـتندالية كـان يهـدف إلى إبـراز الافتراضـات فهـو انتهـى بـه إلى أن هنـاك نظـام اسـتثنائي خـاص بالمنطوقـات الترسـتندالية،

[1] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص8.

[2] المصدر نفسه، ص ص13، 14.

[3] المصدر نفسه ، ص14.

وكذلك تقديمه تصور إعادة بناء ما هو عنصر يمكن بروزه بالرغم من أنه غير تجريبي، أن فهمنا أفضل يؤدي بنا إلى تواصل أفضل.

تتجلى ايتيقا المناقشة في مستويين هما:

الأول: مستوى افتراضات انطولوجية (وجودية): يتمثل عندما ألاحظ واقعة فمعناه وجود عالم موضوعي وعندما أفصح عن تصور معين معناه وجود عالم ذاتي خاص بي.

الثاني: مستوى الافتراضات الاكسيولوجية* **(القيمية)**: هو مستوى أكثر شمولية ويعتمد على ممارسة التأمل تجاه التناقضات الأداتية التداولية أي الصدق والكذب، الحقيقة الشكية، بصورة واضح أن تعطي وعدا بشيء غير حقيقي مثلا، لو عدت انسان انسانا بأنني سأعطيه الشمس إن إعطاء الشمس لشخص ما أمر غير معقول لا يمكن أن تكون حقيقيا[1]، وعلى هذا فالوجود الحقيقي للأشياء جميعها سواء أكان جسما أو صورة مرئية فإننا نفسرها بوجود فعلي حقيقي، فإذا قلنا "أ" موجود معناه أنا موجود بالفعل وعندما عبر عنها فإنها موجود بفعل في الذات هو يتصل بالمحتوى العياني للموضوعات.

تتجلى خصائص ايتيقا المناقشة في:

1. أنها عامة وكلية أي هي نوع من أنواع الخطاب.
2. لازمة للكشف عن عالم موضوعي.
3. إن التواصل لا يتم إلا بها أي أنها لازمة.
4. كما أنها تشكل مسطرة عمليات التعبير والتزام الصدق الذاتي.
5. أنها ضرورية لصنع المعايير.
6. تقوم على البعد اللغوي أداة ومادة موضوعية.[2]، إن إيتيقا المناقشة تلعب دورا هاما في تحقيق نسق عن العالم الموضوعي وكذلك تعتبر أن التواصل هو عنصر فعال في عملية ما يطلق عليه ايتيقا النقاش.

---

* مذهب يرى أن معايير الأخلاق والقيم موضوعية ثابتة على الدهر لا معايير متغيرة (جميل صليبا: المعجم الفلسفي،ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 39)

[1] علي عبود محمداوي: فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص ص71، 72.

[2] المرجع نفسه، ص207.

المطلب الثالث: الحجاج*

في المناقشة الخاصة بالأخلاقيات يستند الحجاج إلى مبادئ الأخلاق ولأن قواعد الحجاج عقلانية فإن الحجاج يتضمن مبدأ الكلية، يعرف هابرماس الحجاج بنمط من الخطاب حيث يطرح فيه المشاركون المواضيع حيث تكون موضع الخلاف بحيث يتم قبوله أو نقده من خلال اعتماد على الحجج، وترتبط الحجة على اسباب ترتبط بنسق ادعاء الصحة الإشكالي حيث نقدر قوة حجة حسب سياق المعطى، يظهر في قدرته على اقناع الآخرين يصبح الحجاج أخلاقيات للممارسة الفعلية التي لا تناقض العقلانية، لكنها تعيد إنشاء مجتمع عقلاني باعتبار أن الفعل الإجتماعي هو فعل تواصلي، إن الهدف من المناقشة هو جعل الأفراد أحرارا لكن أفرادا اجتماعيين[1]، فالخطاب يمنح بين المتواصلين والمشاركين بعدا أخلاقيا حيث يقيم من خلاله العقلانية التواصلية جسورا للتفاهم والتحاور مما يؤدي إلى خلق نوع من اختلاف في الأراء.

حاول هابرماس الإعلاء من شأن الحجاج ولاسيما القائم على أسلوب التأثر المتبادل بالحجة، والحجة المضادة التي تتأسس على معايير قبلية ولغوية وتداولية في نوعها وطبيعتها، وهي ايتيقا المناقشة والحجاج يمكن أن نميز بين شيئين الأول مرتبط بالبرهنة حيث التفاعل بين النفوس (لغة تعبيرية) قابلة أن تؤثر، لكن حدثت تفرقة بين البرهنة وبين الإقناع، فإن الحجاج طريقة فعل والتأثير في الآخر يمكن أن تمثل البرهنة أداة حجاجية حينما نستطيع أن نؤدي الشروط اللغوية (الخطاب، العمومية، الصرية، الفهم، التداولية) حيث يمكن التعبير عنها داخل الخطاب[2]، وعلى هذا يتجلى أن الغاية من الحجاج هو تحصيل نوع من الإتفاق تكمن أهميته وقدرته على الإقناع وكذلك قوة الحجة داخل سياق معين تحدد مدى قدرتها على الإقناع.

---

* argumentation جملة من الحجج التي تؤتى لها للبرهان على رأي أو إبطاله أو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها (جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص447)

[1] شعبان: أخلاقيات المناقشة عند هابرماس من منظور الطبيعة الإنسانية، العدد 27

[2] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل هابرماس نموذجا، مرجع سابق، ص218.

يقـوا آبـل في مفهـوم المحاجـة: "قـد ربطـه بمفهـوم جنـيس وهـو الإجمـاع، كـذلك أن الانخـراط في المحاجـة تعطـي لنـا قبـول ضـمنيا لمبـدأ المعيـاري الإيتيقـي مفـاده أنـه ينبغـي إخضـاع أي نـزاع أو خـلاف يقـع بـين الـذوات المنضـوية في النقـاش، كمـا أن الحجـج محـددة يكـون هـدفها الوصـول إلى الإجمـاع ومـن ثمـة يصـبح هـذا المعيـار مطلبـا أوليـا لإمكانيـة قيـام مناقشـة ممكنـة"[1]، إذن فالحجـاج يـتم مـن خـلال أن كـل طـرف يحـاول الـدفاع عـن موقفـه مـن خـلال تقديمـه مجموعـة مـن البراهـين بكـل حريـة ومسـاواة ممـا يتـيح نـوع من التوافق والإجماع.

يـرى هابرمـاس بضـرورة بعـث نظريـة للمحاجـة الواضـحة والمحـددة ينطـوي تحتهـا كـل خطـاب أو طـرف فاعـل يـدعي امـتلاك الصـلاحية، يحـاول مـن خلالهـا إثباتهـا أو نقـدها مـن خـلال المحاجـة، كـل حجـة تنطـوي مجموعـة مـن الأسـباب المرتبطـة بادعـاء امـتلاك الصـلاحية، فالمحاجـة تجعـل السـلوك فـرد حـاملا لقيمـة العقلانيـة يمكننـا أن نميـز في الخطـاب الاسـتدلالي أو المبـني علـى الحجـج مظـاهر ثـلاث: النظـر إلى الخطـاب بوصـفه مسـارا أو صـيرورة أي شـكل مـن أشـكال التواصـل، النظـر إلى المحاججـة مجـرد إجـراء مـن إجـراءات أي مـا يتعلـق بالتفاعـل المتبـادل المـنظم تنظيمـا خاصـا، النظـر إلى المحاججـة مـاهي إلا بالوسـائل الـتي بموجبهـا يقـوم علـى معرفـة بينذواتيـة أي تحويـل المعـارف حقيقـة، بعـد أن تكـون خضـعت لغربلـة صـارمة[2]، إن التواصـل حسـب هابرمـاس يفـرض أخلاقيـات عقليـة ينبغـي توفيرهـا مـن طـرفي الحـوار أو المناقشـة ليصـل في الأخير إلى نتيجة من خلال الكلام الذي يدور بينهما.

يقـول هابرمـاس: "الوقـائع هـي المضـمون الإخبـاري لتأكيـد أن وهنـا تضـفي الإشـكالية مـع مطلـب الصـلاحية في حـال الإحتمـال هـذا يؤكـد علـى أنـه حقيقـي بعـد امتيـاز اسـتدلالي ومعـنى الحقـائق والوقـائع لا يمكـن أن يوضـح دومـا الرجـوع إلى مناقشـات الـتي توضـح فيهـا متطلبـات الصـلاحية المحتملـة لتأكيـدات السـر المتـاح فقـط في الحـوارات هـو وحـدة أفضـل الحجـاج"[3]، إن تفسـير وإثبـات الوقـائع لا يكـون مـن

---

[1] كارل أوتو آبل: التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، مرجع سابق، ص19.

[2] عمر مهيبل: إشكالية التواصل، مرجع سابق ص ص335، 359.

[3] يورغن هابرماس: المعرفة والمصلحة، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2001، مصدر سابق، ص385.

خـلال مختلـف النقاشـات تكـون هـذه النقاشـات متطابقـة مـع مـا نريـده وتكـون ضـرورة مسـتدلة إلى مختلـف الحجج من أجل الأخذ بها.

إن فلسـفة التواصـل كمـا تصـورها هابرمـاس لم تعـد تنطلـق مـن عـوالم الخـير والشـر كمـا تصـورها الفلاسـفة الميتـافيزيقيون، بـل تنطلـق مـن ايتيقـا المناقشـة تسـتند إلى مبـدأ الحجاجيـة كنقطـة أوليـة، كـذلك ربطـه الـوظيفي لخاصـية المناقشـة وأصـبحت المناقشـة الحجاجيـة هـي الصـورة الجديـدة لأيـة بنيـة عقليـة منطقيـة يمكنهـا الركـون إلى المحاجـة والبرهـان لبلـوغ صـيغة تواصـلية بـين أفـراد المجتمـع.[2] فالتواصـل ينطلـق مـن ايتيقـا المناقشـة هـي تسـتند إلى مبـدأ المحاججـة باعتبـار هـذه الأخـيرة والبرهـان يشـكلان طريـق للوصـول إلى التواصـل بـين أفـراد المجتمـع، وهـي معاكسـة لفلسـفة الميتافيزيقـا لأن هـذه الأخـيرة تقـوم علـى مبـدأ المحاججـة لتبرير موقفها.

[2] جان مارك فيري: فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص17.

المبحث الثالث: الفعل التواصلي وعلاقته مع العالم المعيش*

العالم المعيش مفهوم يشير إلى الحياة اليومية وقد استخدمه هوسرل لأول مرة من أجل المقارنة بين الموقف الطبيعي ما قبل النظري، فالعالم المعيش هو الاسم الذي يستخدمه للنطاقات غير الرسمية (كالعائلة، الأسرة، الثقافة، الحياة السياسية)، أي خارج إطار الأحزاب المنظمة، إن استخدام "الأفق" من علم الظواهر** له هدف توجيهي والأفق يرسم حدود مجال الرؤية للبشر تحت ظروف طبيعية، ولأن التواصل هو الوسط الذي يوجد فيه العالم المعيش. وعلى هذا يتبين أن العالم الذي يعيشه الإنسان بحواسه وشعوره وتطلعاته هو بمكانة العالم الحقيقي وهنا يتضح أن التواصل يلعب دور الوسط الذي يوجد فيه الإنسان داخل العالم المعيش[1]

يقول هابرماس: "يحدد النظام والعالم المعيش أطرا نموذجية مختلفة وتطرح الطريقة التي يمكن ربط المفاهيم الأساسية لنظرية الفعل، ومفاهيم نظرية الأنظمة بصورة متبادلة مشكلا بالنسبة إلى علم الاجتماع الذي يشغله منذ بداياته ولم يجد حلا غير مجادل فيه"[2]، إذن إدخال الفعل في المجتمع وكذلك مدى تأثير اللغة داخل المجتمع كذلك إن لها دورا كبيرا في إطار العالم المعيش.

إذا قامت فكرة العالم المعيش كما حددتها الظواهراتية عند هوسرل بين نوعين من الحقائق وبين نوعين من العوالم، أي أن هناك حقائق العالم المعيش هناك حقائق موضوعية، فالعالم المعيش له حقائق تاريخية وذات علاقة بالتجارب وتراكم الخبرات، أما حقائق العلوم الموضوعية فهي كونية، غير ثقافية لا يتعلق بمحيط ثقافي ما بل قابلة للتطبيق كل مكان، بمعنى أن العالم المعيش هو عالم الوجود، وهابرماس

* أعاد هابرماس الدلالة الفلسفية الاجتماعية لفكرة العالم المعيش فوضعه مقابل الفكرة التي تحاول الهيمنة على عوالمنا الخاصة وهو عالم الحياة اليومية بثقافته وعاداته وقيمه (انظر: علي عبود المحمداوي: الاشكالية السياسية للحداثة، ص 373)

** طائفة من الفقهاء يأخذون بظواهر النص ولو خالف بديهية العقل، والظاهرية من الفلاسفة ينكرون معنى الجوهر يقولون أن الوجود الحقيقي مؤلف من الظواهر فقط (انظر: محمد جواد مغنية: المذاهب الفلسفية وقاموس مصطلحات، دار الجواد، بيروت، ص 217)

[1] يورغن هابرماس: مقدمة قصيرة جدا، مصدر سابق، ص27.

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص148.

وضـع الفـرق بـين النسـق والتفاعـل، أي أن مـن ناحيـة ابسـتيمولوجيا يمكـن فهـم الفعـل الاجتمـاعي مـن زاويتين:

الزاوية الأولى: تشير إلى أن فعل كتفاعل أو نسق ما.

الزاوية الثانية: أي أن الملاحظ الذي يرصد الأسباب والنتائج قد تغيب[1]

يـرى هوسـرل أن العـالم الأصـلي هـو مـا يظهـر للـذات، بحيـث لا يظهـر باعتبـاره وقـائع أو أحـداث بـل باعتبـاره شـيئا مصـنوعا مـن الـذات، إن فكـرة العـالم المعـيش تعـني علـم الوجـود مثلمـا يعيشـه الإنسـان يوميا في محيطه الإجتماعي مقرون بعامل اقتصادي وثقافي.

يشـير النظـام إلى نـوعين أو فـرعين مختلفـين (السـلطة والمـال) وهمـا يشـكلان الإعـلام الموجـه الخـاص بهمـا (أي التوجيـه والتنسـيق الخـاص لـه) للاقتصـاد الرأسمـالي مـن جهـة، و المؤسسـات (الخدمـة العامـة والأحـزاب) مـن جهـة أخـرى، وهـي تشـكل مسـاره أو قنـاة في الحيـاة الإجتماعيـة وأن الوظيفـة الأساسـية للأنظمـة الفرعيـة للمـال والسـلطة هـي بمثابـة الاستنسـاخ المـادي الاجتمـاعي، أي إنتـاج السـلع والخـدمات وتوزيعهـا لكـي تلـبي وظيفـة مهمـة شـبيهة بوظيفـة العـالم المعـيش، ويطلـق عليهـا هابرمـاس اسـم "تكامـل النظـام" تمييـزا لـه عـن "التكامـل الاجتمـاعي" هـو الأثـر الـذي حققـه العـالم المعـيش[2]، لابـد إذن مـن إعـادة التـوازن لمجـالات تأثيرهـا أي أن المجتمعـات الحديثـة أن تتبـدى قـدرتها علـى الرفـع مـن قـوة الإدمـاج الإجتماعي المرتبط بالتضامن في مواجهة السلطة الإدارية والمال.

يقـول هابرمـاس: "أوضـاع المجتمعـات المعاصـرة ثـلاث آليـات "المـال" انطلاقـا مـن كونـه إحـدى الوسـائط المهمـة فقـد تمـت سـرعنته وفـق مبـادئ السـوق، "السـلطة" وقـد تم ترسـيخها داخـل المنظمـات و "التضـامن" قـد تـرجم المعـايير وتم إلى التواصـل أيضـا".[3] فحسـب هابرمـاس أن مـا يشـكل تعارضـا بـين السـلطة والقـوة تعـارض أساسـي إذ لا وجـود للسـلطة دون اتفـاق وإجمـاع حـر وإرادة مسـتقلة للفعـل

[1] حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص139.

[2] يورغن هابرماس: مقدمة قصيرة جدا، مصدر سابق، ص ص68، 69.

[3] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص47.

والعمـل، فالمناقشـات تختـزل في المـال والسـلطة ونسـق القـرارات اعتمـادا علـى العلاقـات الخاصـة في السـوق تصـبح النظـام أداتيـا لا تتعامـل مـع الـذوات والأشـخاص وعلاقـاتهم، إلا مـن زاويـة اعتبـار المشـاركين في تفاعل أدوات بعضهم البعض بهدف النجاح.

يبـين هابرمـاس أن المجتمعـات الحديثـة يتخللهـا نـوع مـن تـوازن هـش (النظـام، العـالم المعـيش) باعتبـار أن النظـام متضـمن في العـالم المعـيش، فهابرمـاس يـرى أولويـة العـالم المعـيش إذ يجسـد أنمـاط الفعـل التواصـلي، أمـا بالنسـبة للنظـام فهـو يجسـد أنمـاط الفعـل الأداتي، هـو يتضـح أن الفعـل التواصـلي سـابق عـن الفعـل الأداتي، أي يكـون العـالم المعـيش لـه أسـبقية علـى النظـام، بالنسـبة للاسـتعمار في العـالم المعـيش يـؤدي إلى عـدم الاسـتقرار وتآكـل الـروابط الإجتماعيـة، وإخـلال الاتـزان وانهيـار النظـام الإجتمـاعي، وبمـا أن النظـام يعتمـد حقـا علـى العـالم المعـيش فـإن العمليـة تترتـب عليهـا حـالات عـدم الاسـتقرار وكـذلك أزمـات في النظـام[1]، وبهـذا يعـد الإنفصـال أو الإخـتلال الواسـع بـين النظـام والعـالم المعـيش شـرطا مـن أجـل الإنتقـال مـن المجتمعـات الإقطاعيـة الأوربيـة إلى المجتمعـات الإقتصـادية، وإن النمـوذج الرأسمـالي يعتمـد علـى فساد العالم المعيش أي ما يعرف بالاستعمار الأساسي التواصلي للمجتمع.

يقـدم هابرمـاس رؤيـة لفهـم العـالم المعاصـر وقـد قسـمه إلى عـالمين: العـالم المعـيش الـذي قوامـه اللغـة والتواصـل، وعـالم الأنسـاق الـذي يخضـع بالأسـاس إلى العقلنـة الحسـابية، فاللغـة تلعـب دورا بـارزا في العـالم المعـيش، إذ أن التـاريخ المعاصـر يشـهد إعـادة انتشـار اللغـة كتواصـل يمكـن القـول أن العقلنـة الثقافيـة يعتمـد وسـيطا ضـعيفا، فالعقـل التواصـلي الـذي قامـت بـه التقاليـد، غـير مؤهلـة بالتنسـيق بـين الأفعـال في الواقـع المـادي[2]، باعتبـار أن اللغـو وسـيلة مـن أجـل التفـاهم ممـا يـؤدي إلى التواصـل بـين المشـاركين لمـا يخـص عالمـه الموضوعي، العالم الإجتماعي والهدف من العالم المعيش مكون أساسي من أجل الوصول إلى التفاهم.

والمفهـوم النسـقي يحمـل دلالات متعـددة، لكـن الوقـوف علـى معنـاه قـد يحيـل إلى سـياقين فقـد يشـير إلى النظريـة "يقصـد بهـا إطـار أكثـر عموميـة في إطـار الأنسـاق، أو قـد يشـير إلى مجموعـة مـن

[1] يورغن هابرماس: مقدمة قصيرة جدا، مصدر سابق، ص ص70، 71.

[2] حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص ص114، 115.

الخطابـات يحيـل إلى شـبكة معقـدة داخـل اللغـة. وإن التواصـل بـين الكائنـات البشـرية يـتم عـبر أنسـاق مختلفـة إمـا تكـون بسـيطة أو مركبـة، ويعتـبر "لكـوت بارسـولز" واحـدا ممـن اعتـبروا أن النسـق علـى أنـه الإطـار النظـري العـام أو مـا أسمـاه "النظريـة الطوعيـة للفعـل" باعتبـاره مهـم في تمثيـل الخطـاب[1]، فـأول الأنسـاق الـتي تلعـب دورا هامـا في الحيـاة هـي السـلطة، بحيـث يـرى هابرمـاس أن الأنسـاق تتميـز بديناميكيـة انغـلاق علـى نفسها ولكل منها عالما خاصا، لذلك يعتبر الأنساق قادرة على

وحـين يتحـدث عـن مكونـات العـالم المعـيش فهـو يقصـد بـذلك الثقافـة والمجتمـع والشـخص البشـري، يعتـبر أن الثقافـة هـي تلـك الـتي يسـتمد منهـا الفعـل التواصـلي، ويلاحـظ هابرمـاس أن هـذه "الاسـتراتيجية المفهوميـة" تنقطـع مـع التصـور التقليـدي حيـث مـا زالـت فلسـفة الـذات وفلسـفة العمـل تحـافظ مـا عليـه باعتبـار أن المجتمعـات في نظرهـا تتـألق جماعـات وهـذه الأخـيرة تكـون بصـفة عامـة متكونـة مـن الأفـراد، فـالأفراد والجماعـات هـم المعـنى في العـالم المعـيش[2]، يتبـين مـن خـلال مـا سـبق أن هابرمـاس ارتكـز علـى الثقافـة في فهـم الفعـل التواصـلي والعـالم المعـيش لكونهمـا قاعـدة أساسـية لكـل نشـاط تواصـلي، كـذلك الهـدف مـن ذلـك هـو خلـق مجتمعـا تواصـليا، كمـا يحيـل مكـون المجتمـع في العـالم المعـيش إلى مجمـل العلاقـات المتداخلة والمنتظمة بشكل مستمر.

يقـول هابرمـاس: "مفهـوم العـالم المعـيش مفهومـا افتراضـيا في إطـار نظريـة المجتمـع كمـا نمـى بألفـاظ ذاتيـة صـورية ينبغـي تحويلـه إلى مفهـوم قابـل للتطبيـق تجريبيـا، إذن يضـم مفهـوم ذاتي للتنظـيم لـدمجها في مفهـوم مجتمـع لمسـتويين يضـاف إلى ذلـك ضـرورة التمييـز بـين المسـائل الـتي تعـود إلى منطـق النمـو و المسـائل الـتي تعـود ديناميكيـة النمـو".[3] فمفهـوم العـالم المعـيش يشـير بدرجـة كبـيرة في تفاعـل الأفـراد داخـل المجتمـع وهـو عـالم التجربـة، حسـب مـا يعيشـه الإنسـان وهـو بدرجـة كبـيرة يشـير إلى الإنسـان وتفاعلـه مـع الشـبكة الثقافية والاجتماعية.

---

[1] علي عبود المحمداوي: مدرسة فرانكفورت جدل التحرر والتواصل والاعتراف، دار الروافد للنشر، لبنان، 2009م. ص229.

[2] محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص157.

[3] يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، مصدر سابق، ص461.

ويزيـد علـى ذلـك هابرمـاس: "فالعـالم المعـاش يشـكل أفقـا وفي الوقـت ذاتـه يقـدم ذخـرا مـن البـداهات الثقافيـة ينصـح منهـا هـؤلاء الـذين يشـاركون في التواصـل عنـدما يترتـب عليهـا تقـديم الشـرح للنمـاذج التفسـيرية المقبولـة للجميـع".[1] إن الخلفيـة المكونـة مـن البـديهيات الثقافيـة وكـذلك مـن تضـامنات الجماعات المشكلة حول بعض القيم والكفاءات الفردية، والتي أضفى عليها الطابع الإجتماعي.

فالتواصـل لا معـنى لـه خـارج العـالم المعـيش عنـده مكمـل للفعـل التواصـلي، فـإن هابرمـاس يحـاول تقـديم رؤيـة جديـدة فقـد ربـط بـين التواصـل والعـالم المعـيش، لكـي تكـون المعرفـة المشـتركة يكفـي أن تكـون للفـاعلين وجهـات نظـر متقاربـة حـتى يكـون هنـاك الاتفـاق وهـذا الاتفـاق لا يـتم إلا مـن خـلال الإعـتراف المتـذاوت، حيـث نجـد أن التـذاوت يتجـاوز نسـق الـذات تـرى في العـالم أكـبر منهـا شـبكة تبـادل لا متناهيـة حيـث جـاء هابرمـاس "بالعـالم المعـيش" كـرد فعـل علـى البنيويـات الوظيفيـة.[2] يتضـح أن الفعـل التواصـلي يشـكل وسـيلة لإعـادة البنيـات الرمزيـة للعـالم المعـيش، كمـا نجـد أن علاقـة الفعـل التواصـلي بالعـالم المعـيش مـن خـلال الفعـل وبـذلك يكـون الفعـل غائيـا اسـتراتيجيا، أو فعـلا تواصـليا، حيـث تتمثـل العلاقـة بينهمـا علاقـة أفقيـة حيـث يتمثـل في العـالم المعـيش مسـتمع، مـتكلم وفاعـل وذلـك مـن أجـل ضـمان الاتفـاق والتفاهم.

[1] المصدر السابق، ص457.

[2] علي عبود المحمداوي: مدرسة فرانكفورت جدل التحرر والتواصل والاعتراف، مرجع سابق، ص236.

المبحث الرابع: الفضاء العام

المطلب الأول: مفهوم الفضاء العمومي

إن التفكـير في العموميـة يطـرح العديـد مـن المفارقـات، لأن التفكـير الفلسـفي في تطـوره يطـرح العديـد مـن قضـايا الوجـود البشـري، لعـل العموميـة تعـد مفهومـا متـداولا في الفلسـفة المعاصـرة، أي أن هنـاك ترابطـا بـين الإنسـان والعـالم، ويعـود التفكـير في العموميـة إلى "كـانط" الـذي دافـع عـن العقـل (تجـرأ في اسـتعمال عقلـك) تلـك الجـرأة الـتي تفـرض الشـجاعة والإرادة والمسـؤولية والاسـتقلالية، حيـث ميـز كـانط بـين الإسـتعمال الخـاص و الإسـتعمال العمـومي للعقـل[1]، وعلـى هـذا تكـون العموميـة عنـد كـانط مثلـت السـلطة لضـمان الأخـلاق والسياسـة ويمثـل بالنسـبة لـه اسـتخدام العقـل بشـكل سـليم وهـو الوحيـد القـادر على تفعيله بين الناس، أما استخدامه يكون مجددا وسليما.

وفي سـياق النقـاش الـدائر بـين "مندلسـون" و "ليسـنغ"، عـرف كـانط التنـوير علـى أنـه الخـروج مـن الوصـاية بمعـنى اسـتخدام الإنسـان عقلـه بـدون أن يتـدخل أي عامـل خـارجي، حيـث نجـد أن هـذه الوصـاية ليسـت طبيعيـة حيـث مـنح الله الإنسـان وميـزه علـى بـاقي الكائنـات الحيـة، فـالتنوير هـو الإرتقـاء بعقـول النـاس إلى النضـج عـن طريـق التعلـيم، والتحـرر مـن الوصـاية لـيس هـو شـأن فـردي بـل هـو شـأن جمـاعي فنجـد أن العقـل الجمـاعي يتمتـع بشـرط أساسـي هـو اسـتعمال عمـومي للعقـل أي تبـادل حـر للأفكـار[2] بحيـث عـرف كـانط التنـوير بأنـه هجـرة الانسـان مـن القصـور الـذي كـان بسـبب الإنسـان ذاتـه، فهـو لا يعـد القصـور في الفهـم أو العقـل لكنـه نقـص في الإرادة، وكـذلك في اسـتخدام العقـل، بإمكـان الفـرد أن يتحـرر من الوصاية ويصبح يستخدم عقله.

"إن مـا يهـم هابرمـاس مـن مشـروع كـانط هـو فكـرة الفضـاء العمـومي الـذي صـمم أركولوجيـا هابرمـاس نفسـه وإن كـانط صـاحب اسـتباق وبعـد نظـر عميـق للفضـاء العمـومي علـى مسـتوى الكوكـب"[3]

---

[1] رشيد العلوي: الفضاء العمومي من هابرماس إلى فريزر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم العلوم الانسانية، ص127.

[2] نور الدين علوش: فلسفة السلطة السياسية عند هابرماس، بيروت، ط1، 2016م، ص38.

[3] أم الزين شيحة المسكيني: كانط راهنا، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016م، ص192.

أخـذ هابرمـاس مـن كـانط فكـرة الفضـاء العمـومي، و كـانط في نظـر هابرمـاس هـو المؤسـس الأول للفضـاء العمومي إذ أن الفرد حسبه يكون له القدرة على التعبير بحرية.

إن مفهـوم الدعايـة باعتبارهـا جـوهرا في الفضـاء العمـومي، فنجـد أن تبـادل الآراء والأفكـار ينـتج عنـه فضـاء تتقـاطع فيـه آراء حيـث تكـون الـذوات في تواصـل دائـم والاسـتخدام العـام للعقـل يصـبح للفـرد مهمتـين (مهمـة الفاعـل، مهمـة المتفـرج) فالعـالم أصـبح ذاتـا عاقلـة والـتي تسـتعمل عقلهـا، ممـا يعـني الفـرد عاقـل فمـثلا الكاتـب يعطـي نمـوذج القاضـي الـذي يتوجـه إلى المسـتمع باعتبـاره فـاعلا في الوقـت ذاتـه متفرجـا، إن الفـرد باعتبـاره يتموقـع بـين فاعـل في الفضـاء العمـومي وفي نفـس الوقـت لـه قـدرة علـى إبـداء الـرأي والتعليـق[1]، مـن هـذا يتبـين أن كـانط يحـاول أن يواصـل الدعايـة والتعبـير عـن اهتمامـه بـالرأي العـام الـذي يقـوم هـو بـدوره، الـدور الأخلاقـي للسـلطة حيـث تكـون قراراتهـا لعامـة النـاس وباعتبـار أن الدعايـة تنسب إلى المجتمع المدني والذي بدوره يتعرض للتغيير.

إن الدعايـة إذا مـا نظرنـا إليهـا نظـرة فينومينولوجيـة حيـث يكـون شـعوره هـو شـعور بالشـيء والمنتجـات الماديـة والسياسـية والاقتصـادية مجتمعـة تنصـب في الوعـاء الواحـد هـو الدعايـة فهابرمـاس يميـز بـين نـوعين مـن الدعايـة (بعـد عـام، بعـد غـير عـام) لكنهمـا يشـتركان في نقطـة واحـدة هـي أنهمـا موجهـان للجمهـور، وتعتـبر الدعايـة عنصـر مـن العناصـر الممارسـة في المجتمعـات المعاصـرة، كـذلك أداة لإحـداث التـوازن الاجتمـاعي لـذلك فالدعايـة عنصـر أساسـي في المجـال العـام.[2] فالفضـاء العمـومي البرجـوازي سـاهم في تشـكيل أسـس المجتمـع المـدني بفعـل الدعايـة المضـادة في تشـكيل الـوعي الاجتمـاعي وكـذلك أدوات هيمنة الدولة.

"يتنـاول هابرمـاس أفكـار هيجـل ومـاركس ويحلـل منظورهمـا للدعايـة ثم يلجـأ إلى تخصـيص بحـث لفكـر الفيلسـوف الانجليـزي "جـون سـتيوارت ميـل" والأمريكـي "دوتـو كفيـل" حيـث يـدين فيـه آراء هـذين الفيلسـوفين المتعلقـة بالدعايـة والاعـلام ويوضـح فيـه وسـائل السـيطرة الـتي تبنتهـا السـلطة المهيمنـة لاحتـواء

[1] نور الدين علوش: المدرسة الألمانية النقدية، مرجع سابق، ص70.

[2] عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، مرجع سابق، ص332.

الـوعي الفـردي منـه والجمعـي"[1]، ينشـط المجتمـع مـن خـلال اسـترجاع الـوعي اسـتقلاليته عـن مجموعـة الأطـر المؤسسـية الـتي تصـنعها تقنيـات المراقبـة وحـددت مضـامين الدعايـة والوسـائل والإعـلام، وتعتـبر الدعايـة مبـدأ السـيطرة وكـذلك أصـبح إطـارا لقمـع المـواطن كمـا أن مفهـوم الدعايـة البرجوازيـة، فمفهـوم الدولـة يتخـذ بعـدا وقائيا للمحافظة على مكتسبات المنظومة الرأسمالية دون التخلي عن جوهر الاستغلال الطبقي.

يحـرص هابرمـاس عـل أهميـة مبـدأ العموميـة الـذي يشـدد عليـه كـانط، إذ أن كـانط حسـب هابرمـاس هـو مـن حـرص علـى صـياغة علاقـة التنظـيم الحقـوقي والثقافـة السياسـية لشـعب مـا، إن كـانط يبـدو في مرتبـة السياسـة ضـمن الأركولوجيـا الـتي يصـممها هابرمـاس لمبـدأ العموميـة في المجتمـع البرجـوازي، وأن النسـق الكـانطي يبـدو في فضـاء هابرمـاس قـائم علـى جملـة مـن الاوهـام السياسـية والمدنيـة والـوعي الـذي بـدائرة العموميـة بوصـفها رأيـا عامـا[2]، إن فكـرة العموميـة تشـير بدرجـة أولى إلى المجتمـع المـدني والـذي يسـعى بـدوره إلى تكـوين وتأسـيس الكونيـة، كمـا نجـد أن هابرمـاس أضـاف لكـانط مـا يعـرف بـالحوار الـذي كـان يسـعى مـن ورائـه الوصـول إلى الإجمـاع، كمـا نجـد أن فكـرة العموميـة لم تحقـق مـن الصـالونات والمقـاهي بـل أصبحت مطلبا موضوعيا حيث لعبت دورا هاما

الفضـاء العمـومي إنمـا ينشـأ مـن مجموعـة مـن النـاس تجمعهـم سمـات مشـتركة ويمتلكـون الوظيفـة النقديـة الـتي تمارسـها ضـد السـلطة أي أنهـم يقومـون بـدور الوسـيط بـين الدولـة والـرأي العـام.[3] إذن فالفضـاء العمـومي هـو مجـال التقـاء المـواطنين لمصـالحهم المختلفـة والمتنوعـة لوضـع رؤيـة مشـتركة، وهـو المكـان العقـلاني لتكوين الرأي العام تصير الوسيلة السلطة لمعرفة مصالح المواطنين.

إن الفضـاء العـام ينتمـي إلى مركزيـة الفعـل التواصـلي مؤسـس علـى العقـل العملـي العـام بـين الفـاعلين علـى مسـتوى أصـغر للحيـاة الإجتماعيـة إلى مجـالات الجمعيـة الأكثـر تنظيمـا والـتي يـتم فيهـا النقـاش مـن أجـل المصـلحة المشـتركة[4]، ويتسـم المجـال العـام أنـه طـابع سياسـي يؤكـد علـى قيمـة التواصـل

[1] المرجع السابق، ص 340.

[2] أم الزين شيحة المسكيني: كانط راهنا، مرجع سابق، ص210.

[3] الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار الصبحي للطباعة والنشر، ط1، 2015م، ص278.

[4] يونس الوكيلي: في جدل الفعل والدين في الفضاء العمومي، صفحة ثقافية فكرية، 2016.

والشـفافية وممارسـة الفهـم الاتصـالي بـدءا مـن المسـتوى الأصـغر للحيـاة الاجتماعيـة إلى مجـالات الجمعيـة الأكثـر تنظيمـا الـتي تـتم فيهـا النقـاش بمعـنى أنـه مركـز علـى الرابطـة الاتصـالية ذات طـابع اجتمـاعي ممـا يـؤدي إلى ظهور النقاش والتداول وهي التي تشكل المجال العام*.

المطلب الثاني: مفهوم المجال العام البرجوازي

يقـول هابرمـاس: "إن الفضـاء العمـومي هـي كلمـة ترجمـة الكلمـة الألمانيـة Fenlichkeit OE الـتي يمكـن أن تفـي العلانيـة والشـفافية والانفتـاح ووفقـا لهابرمـاس فـإن مثـل التنـوير التـاريخي –الحريـة- التظـافر والمسـاواة، كامنـة في مفهـوم الفضـاء العـام وتـوفر معيـار النقـد المحايـث "[1]، يشـير الفضـاء العمـومي إلى مجـالات التواصـل القائمـة في المجتمـع أي إلى المجـالات الـتي تسـمع لتبـادل الأخبـار والأفكـار والآراء هـذا كلـه من أجل تكوين ما يعرف الرأي العام والارادة العامة.

قـدم هابرمـاس دراسـة سوسـيو تاريخيـة لتحـولات بنيـة الفضـاء العمـومي البرجـوازي، ويـرى هابرمـاس أنـه لاوجـود لمعارضـة بـين المجـال العـام والخـاص وإن الرأسماليـة التجاريـة والماليـة شـكلت مركبـا تبادليـا: تبـادل الأخبار –تبادل السلع

إن التوسـع الكبـير لملاحظـات اقتصـادية لا يمكـن ربطهـا بالعلاقـات الاقطاعيـة، ذلـك مـن خـلال التغـيرات الـتي طـرأت علـى سـنة الاقتصـاد وانعكسـت علـى العلاقـات الاجتماعيـة، حيـث نجـد أن النشـاط الاقتصـادي يشـكل فضـاء واسـع تحـت مراقبـة السـلطة السياسـية[2]، إن الفضـاء العمـومي ظهـر مـع البرجوازيـة في إطـار التنظـيم الأسـري الـداخلي لهـا إذ لم ينبغـي ملازمـا لهـذا التنظـيم بـل خـرج مـن خـبرة الضـيق إلى المجال العام.

---

* إن دلالـة المجـال العـام أخـذ فاعليـة أكـبر مـع هابرمـاس وأصـبح البيئـة المعـول عليهـا في إنجـاز مشـروع عقلنـة الممارسـة السياسـية بتوفيرهـا ميـدانا لتـداول الموضـوعات النزاعيـة تهـدف لتحقيـق الاجمـاع حولهـا بعـد المـرور بعمليـة نقابيـة حجاجيـة (انظـر: علـي عبـود المحمـداوي: الاشـكالية السياسية للحداثة، ص 373)

[1] جيمس جوردن فينلسيون: مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص26.

[2] نور الدين علوش: فلسفة السلطة السياسية، مرجع سابق، ص72.

يقـول هابرمـاس "إن الفضـاء العـام بـدأ يمـارس وظيفـة سياسـية واجتماعيـة فإنـه لا يمكـن الخلـط بينـه وبـين أي مؤسسـة سياسـية محـددة أو ربطـه بهـا فقـد كـان فضـاء غـير رسمـي للتواصـل الاجتمـاعي يسـتقر في مكـان مـا بـين المجتمـع المـدني البرجـوازي والدولـة والحكومـة"[1]، وعليـه فالدولـة لا تخضـع إلى السـلطة السياسـية بـل يخضـع لـربط أخلاقـه (الصـدق، المعقوليـة، الحقيقـة، الدقـة، الدقـة) وإن الفضـاء مسـتقل عـن الدولـة وكـذلك عـن الاقتصـاد، أي أن الفضـاء للمشـاركة حـر لا يمكـن تصـوره خـارج إطـار مجتمـع ديمقراطي.

أهـم نقطـة في مـنهج هابرمـاس أن الفضـاء العـام البرجـوازي يتجـاوز الـوهم المحـض، إن الفضـاء العمـومي كـان فضـاء العمـومي كـان فضـاء مفتوحـا فكـل لـه الحـق في المشـاركة بمعـنى النقـاش العـام لم يكـن هنـاك مـن يسـتبعد مـن المشـاركة في الفضـاء العـام، لكـن سـرعان مـا فقـد الفضـاء العـام مـن تراجـع شـهدته الصـحف والمجـالات رواجـا كبـيرا في نطـاق واسـع تحولـت إلى شـركات رأسماليـة تعمـل علـى خدمـة المصـالح الخاصـة، وتـدريجيا فقـد الـرأي العـام اسـتقلاليته بـدلا أن يكـون الـرأي العقـلاني أصـبح الفضـاء العـام في القـرنين التاسـع عشـر والعشـرين حلبـة توجيـه الـرأي العـام والتلاعـب بـه[2]، وعلـى هـذا تحولـت وتغـيرت الوظيفة الإعلامية وأصبحت في مكانها الوظيفة الاتصالية

يقـول هابرمـاس: "إن تحـول بنيـة الـرأي العـام البرجـوازي يجـب أن ينقـل رأي السـذاجة الـرأي هـذا، عنـدما لا يحقـق هـذا الـرأي في التطـور الخـاص بـالرأي العـام الـداخلي الـذي يحـول الترجمـة المناسـبة للمعلومـات التقنيـة ببـين الاختصاصـات المفـردة"[3]، وعليـه يسـمح الفضـاء العـام بإثـارة القضـايا العامـة مـن طـرف الأفـراد ويسـمح بـأن يتحـول الـرأي الخـاص في الشـأن العـام والنقـد الشخصـي إلى فكـرة عامـة لتصـل إلى الناس عامة.

يرجع هابرماس التحولات التي لحقت بالفضاء العمومي إلى عاملين:

1/الإصلاح الإنتخابي في القرن العشرين.

---

[1] جيمس جوردن فينلسيون: مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص27.

[2] المرجع نفسه: ص29.

[3] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص120.

2/ إدماج المقصين في الفضاء العمومي.

إن هـذه التغـيرات تبـين لنـا دور الأشـخاص الـذين يسـتخدمون عقـولهم داخـل سـياق مـن الحريـة والاسـتقلالية، وأصـبحت السـلطة خاضـعة لإرادة الشـعب أي أن الـوعي السياسـي يتطـور في إطـار الفضـاء العمـومي البرجـوازي، حيـث أصـبحت الجمعيـات تـدافع علـى مصـالح النـاس تحـت غطـاء سياسـي وكـذلك فقـد الـرأي العـام دوره بسـبب خضـوعه للمصـالح الـتي تسـتعمل بغيـة الإشـهار[1]، فالسـائل أثـرت علـى الفضـاء العـام وأعطـت امتـداد فصـارت وسـائل الإعـلام تمـارس الوظيفـة النقديـة، حيـث أصـبحت وسـائل الإعـلام أكثـر فعاليـة ولكـن وقوعهـا تحـت سـيطرة السـلطة السياسـية أفقـدتها القـوة النقديـة الـتي كانـت تمارسها على الفضاء العمومي.

المجـال العـام يمثـل حلبـة النقـاش العـام التـيس تـدور فيـه المسـاجلات، وتشـكل فيهـا الآراء والمواقـف حـول القضـايا الـتي تجسـد اهتمامـات النـاس، إن المجـال العـام في المجتمعـات الغربيـة قـد بـدأ في الصـالونات والمقـاهي حيـث كـان النـاس يجتمعـون ويناقشـون مختلـف القضـايا، وقـد لعبـت الصـالونات دورا بـارزا في نمـو الديمقراطيـة في مراحلهـا الأولى وتمثـل المجـال العـام لالتقـاء النـاس والأفـراد بوصـفهم أفـرادا متسـاويين في منـديات الشـبه المفتوحـة للمناقشـات العامـة[2]، إذ بـرزت العديـد مـن المؤسسـات الاجتماعيـة مثـل الصـحف والمجـالات والمقـاهي، حيـث كانـت جميعهـا تمثـل فضـاء لمناقشـة مختلـف القضـايا والمسـائل الاجتماعيـة والسياسـة، ومـن خـلال أن النقـاش يؤسـس ديمقراطيـة تشـاورية بحيـث يسـاهم أفـراد المجتمـع في بلـورة أو تشكيل الرأي العام.

يقـول هابرمـاس" "يتكـون الفضـاء العمـومي مـن تجمعـات طوعيـة لمـواطنين مسـتقلين يجمـع بيـنهم هـدف مشـترك ألا وهـو اسـتغلال مـنطقهم في نقـاش غـير مقيـد وسـرعان مـا تطـورت ثقافـة مشـتركة سـاعدت مـن بـين الأمـور الأخـرى المشـاركين علـى اكتشـاف احتياجـاتهم واهتمامـاتهم والتعبـير عنهـا وصـياغة تصـور للمصـلحة العامـة[3]، فلقـد تشـكل الفضـاء العمـومي مـن مجموعـة مـن الأفـراد يجمعهـم هـدف واحـد تكـون

[1] نور الدين علوش: فلسفة السلطة السياسية عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص86، 87.

[2] انتوني عندنز: علم الإجتماع، تر: فايز الصياغ، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، 2005م، ص512.

[3] جيمس جوردن: مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص727.

هنـا الآراء مختلفـة، وهـي كلهـا في إطـار مـا يعـرف بالنقـاش داخـل الفضـاء العمـومي والـدور الـذي يلعبـه داخله.

ويتميز المجال العام بثلاث مميزات هي:

1/ أن الخطاب في المجال العام لم يكن يهتم بالمجال الخاص بل كان يهتم بالأفضل الذي يقدم الحجة.

2/ إن النقاش في المجال العام كان يشكل حول قضايا المناقشة، ونجد أنها حكر على الدولة.

3/ الصـيرورة الـتي حولـت الثقافـة إلى سـلعة حيـث أصـبحت الثقافـة في متنـاول الجميـع وأصـبح هـذا الموضـوع في متنـاول الكـل، حيـث لم يعـد متمركـزا علـى النخبـة فقـط. ونجـد أن هابرمـاس يؤكـد علـى ضـرورة الحوار.[1]

نجـد أن داخـل الفضـاء العـام مـا يـبرر الـدور الأخلاقـي للمناقشـة الـتي تسـتند إلى الحـوار والنقـاش، وعلـى الحجـة والبرهـان، حيـث تسـعى الـذوات المشـاركة في العمليـة الحواريـة إلى النقـاش في إطـار التفـاهم والتبـادل بالحجج.

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص229.

أهم نتائج الفصل:

إن التواصـل بوصـفه فعـلا اجتماعيـا، أي هنـاك علاقـة تفاعـل بـين الأفـراد داخـل المجتمـع، ممـا يـؤدي بالضـرورة إلى خلـق نـوع مـن التفـاهم والاتفـاق، كمـا أن هابرمـاس في تأسيسـه لنظريـة الفعـل التواصـلي يدعو إلى التحرر من فلسفة الوعي أو الذات بالموضوع.

إن التواصـل كـذلك هـو مجمـوع الترابطـات الـتي تـدقق حولهـا الأفـراد بغيـة تحقيـق نـوع مـن الاتفـاق، ويظهـر الفعـل التواصـلي بالنسـبة إليـه في شـكل فعـل يخـرج الـوعي مـن باطنـه نحـو الإنفتـاح علـى الآخـر، ويقـوم مفهـوم العقـل أو النشـاط التواصـلي علـى افـتراض اللغـة وسـيلة مـن أجـل عمليـات التفـاهم وإن الفعـل التواصـلي في الإطـار النظـري والفلسـفي لنقـد العقـل القـائم علـى مفهـوم تـداولي بحيـث يعتـبر اللغـة مبـدأ العقل التواصلي.

إن هابرمـاس يجعـل الحجـاج آليـة مـن آليـات التواصـل والتواصـل السـليم هـو الـذي يعتمـد علـى المحاججـة، وهنـاك علاقـة بـين علاقـة العـالم بالنسـق (المنظومـة) بمعـنى دور الفعـل التواصـلي في التنشـئة الاجتماعيـة أو في تشـكيل العـالم المعـيش، حيـث انطلـق مـن مرجعيـة فكريـة واقعيـة لا ميتافيزيقيـة ليكـون العـالم المعـيش بمثابـة الخلفيـة للنشـاط التواصـلي أي التواصـل بـين الأنـا والآخـر، ولا يمكـن الحـديث عـن التواصـل إلا في إطـار مـا يعـرف بالعـالم المعـيش حيـث يكـون هـذا العـالم بمثابـة الحيـز أو المكـان الـذي يجـوز فيه التفاهم بين الناس.

يشـكل الفضـاء العمـومي نقطـة الإنطـلاق في التواصـل فهـو يحتـل موقعـا مركزيـا في الفكـر السياسـي المعاصـر باعتبـاره يمثـل مجـالا للمناقشـة وإطـارا لمختلـف القـرارت الفكريـة علـى البرهنـة والاقنـاع، وهابرمـاس في دراسـته للمجـال العمـومي تطـرق إلى تحليـل المجـال العمـومي البرجـوازي، وهابرمـاس في دراسـته للمجـال أو الفضاء العمومي شرط أساسي لتحصيل شرط المواطنة.

ومـن الأسـباب الـتي جعلـت هابرمـاس يتنـاول الفضـاء العمـومي هـي حضـور المرجعيـة الكانطيـة، والديمقراطية التي تأسست مع البرجوازية في القرن 18م.

الفصل الثاني :

النـظام السياسي عنـد هـابرمـاس

المباحث :

- الشرعية في النظام السياسي عند هابرماس
- القانون والحق عند هابرماس
- الديمقراطية من منظور هابرماس
- ما بعد الدولة الأمة
- التفكير مع هابرماس ضد هابرماس

الفصل الثاني: النظام السياسي عند هابرماس

تمهيد:

ننظـر في الفصـل الثـاني لتوضـيح فكـرة الديمقراطيـة عنـد هابرمـاس مـن خـلال تجـاوزه ونقـده للدمقراطيـة الرأسماليـة وتأسـيس ديمقراطيـة تشـاورية، أساسـها الحـوار والنقـاش وتكـوين حريـة للأفـراد داخـل المجتمـع، فـالأخلاق التواصـلية تتكـون مـن عناصـر أساسـية وجوهريـة هـي: الديمقراطيـة، العدالـة، القـانون، يبـين أن هـذه العناصـر الـثلاث أساسـية مرتبطـة ببعضـها الـبعض، فبالنسـبة للقـانون الصـحيح هـو الـذي يخـدم مصـلحة المجتمـع وضـمان حقـوقهم وخلـق مجتمـع ديمقراطـي يسـوده قـوانين مـن أجـل حمايـة الأفـراد ممـا يسمح لهم بالنقاش والتشاور، وتأسيس مواطنة دستورية ننطلق من فكرة الكونية، وعليه:

1/ ماذا نقصد بالديمقراطية التشاورية؟

2/ كيف ينبثق القانون في ضل الديمقراطية التشاورية؟

3/ وهل هناك علاقة بين القومية وفكرة الديمقراطية؟

وقبـل ذلـك نوضـح في البدايـة مفهـوم السياسـة* عنـد هابرمـاس يتميـز بـين نطـاقين (رسمـي وغـير رسمـي حيـث يعتـبر أن النطـاق غـير الرسمـي يتكـون مـن مصـادر التلقائيـة (الفوضـوية) أو مـا يطلـق عليهـا "المجتمـع المـدني"، أمـا النطـاق الرسمـي فيضـم النطاقـات المؤسسـة للتواصـل والخطـاب محـددة بـذلك "منـع القرار" هي: البرلمانات، مجالس الوزراء، المجالس المنتخبة، الأحزاب السياسية.

* السياسـة مصـدر أساسـي في تنظـيم أمـور الدولـة وتـدبير شـؤونها وقـد تكـون شـرعية أو مدنيـة فـإذا كانـت شـرعية كانـت أحكامهـا مسـتمدة مـن الـدين وإذا كانـت مدنيـة كانـت قسـما مـن حكمـة السياسـة وموضـوع علـم السياسـة عنـد القـدماء هـو البحـث في أنـواع الدولـة والحكومـات وعلاقتهـا ببعضـها الـبعض والكـلام علـى المراتـب المدنيـة وأحكامهـا والاجتماعـات الإنسـانية الفاصـلة والرديئـة، في وجـود اسـتفتاء كـل منهـا وعلـة زوالـه وكيفيـة رعايـة مصـالح الخلـق والعمـارة وغيرهـا، وقـد يطلـق لفـظ السياسـة علـى الرجـل نفسـه أو علـى سياسـته داخلـه وخارجـه أو علـى سياسـة أهلـه، وقـد أطلـق لفـظ سياسـي علـى مـن يتـولى الحكـم في الدولـة علـى نـوعين مـن الرجـال ètat home هـو الـذي يقـيم الحكـم علـى نسـق العـدل والاسـتقامة، والثـاني رجـل الحكـم المـاهر بـالظروف المحيطـة بـه لتحقيـق مـآرب السياسـة (انظـر: جميـل صـليبا: المعجـم الفلسفي، ج1، ص ص 679، 680

كما يعتبران الثنائية (رسمي وغير رسمي) يمثلان المفهوم الإجمالي الشامل للسياسة باعتبار أن أفرادها يشاركون في الخطاب ويتوصلون إلى نوع من التفاهم أو ما يطلق عليه هابرماس "رأي الفرد وإرادته"، وعليه فالسياسة هي التنظيم العقلاني للعلاقات بين الأفراد، فالمجتمع المدني يهدف إلى تسهيل التفاعل بين أصحاب المصلحة وإدارة الشؤون الإجتماعية والاقتصادية، ويؤكد هابرماس أن سلطة الدولة من قبل المجتمع المدني تشير إلى درجة كبيرة إلى الديمقراطية.[1]

كما يؤكد هابرماس أن النظام السياسي يؤدي وظيفته عندما تؤدي المؤسسات وتستوعب صنع القرار، وكذلك عندما يكون لديه قنوات السليمة التي يمكن أن تحدث نوع من التأثير في السياسة والقانون وتحقق الدول الديمقراطية[2]، تسعى مؤسسات المجتمع المدني لتحقيق أغراض سياسية في صنع القرار بحيث نجد الأفراد يوصلون إلى تحقيق نوع من التفاهم حيث نجد الدول الديمقراطية التي تحقق كل هذا، كتاب السياسة لأرسطو وكتاب (ليفياتان) لهوبز، وكتاب روح القوانين لمونتيسكيو وغيرها تعد مشتملة على بعض عناصر هذا العلم.

[1] جيمس جوردن فيتلسيون: يورجن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، مرجع سابق، ص 116.

[2] المرجع نفسه، ص117.

المبحث الأول: الشرعية في النظام السياسي عند هابرماس

المطلب الأول: مفهوم الشرعية

تعتبر العدالة* من أكثر المفاهيم المتداولة في العصر المعاصر، بحيث نشير بها إلى مختلف المجالات والميادين منها الأخلاقية وكذلك السياسية كما أن مفهوم العدالة يشير بدرجة كبيرة إلى الحق والمساواة.

غير أن هابرماس استخدم العدالة ويقصد بها "الشرعية" بحيث يحصرها في نطاق الدولة والدستور والديمقراطية، وهي تمثل سياق وثيق بين الديمقراطية وحقوق الإنسان، والمبدأ الذي يؤكد عليه هابرماس "المبدأ الشرعية" وذلك من خلال الخطابات أو المفاوضات الذي ينتج عنها مختلف الآراء المشتركة التي من خلالها يحدث الإقناع بواسطة حجج، وهي أن العملية لها أسس خطابية بحيث نجد الخطابات والمفاوضات تستند إلى نتائج الشرعية التي تبنتها الديمقراطية أي من خلال النسق التواصلي[1]، من خلال هذا يتضح أن الشرعية تستند إلى القانون كما أنها عند هابرماس قائمة على الحجج أي أثناء المناقشة نطلق مجموعة من الحجج بحيث تكون هذه الحجج مقنعة.

إذا كان الفكر الأخلاقي النظري والسياسي المعاصر ولاسيما عند "رولز" تستند إلى مبدأ الحرية، إذا كان هذا الفكر يؤكد بأن ينبغي أن يكون لكل شخص حق مساوي في أكبر الحريات الأساسية[2]، من هذا نجد أن نظرية العدالة عند رولز تأخذ مكانة هامة حيث كان الهدف منها هو أنها جاءت توضح الحريات والحقوق الأساسية للمواطنين وكذا مبادئ العدالة التي تشكل مفهوما سياسيا.

---

* مرادفة للعدل باعتباره مصدرا للإعتدال والاستقامة والميل إلى الحق هو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، والعدالة عند الفلاسفة هي المبدأ المثالي والطبيعي أو الوضعي الذي يحدد معنى التحقق ويوجب احترامه وتطبيقه، فإذا كانت العدالة متعلقة بالشيء مطابقة للحق، وذلك على المساواة والاستقامة إذا كانت متعلقة بالفاعل دلت على الفضائل الأصلية وهي الحكمة. (انظر: جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص 57)

[1] أبو النور حمدي أبو النور: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص216.

[2] جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 2001م، ص 43.

كمـا نجـد أ هابرمـاس في تعريـف للشـرعية يقـول: "إمكانيـة الـدفاع بواسـطة حجـج ثابتـة عـن الضـرورة المتاحـة للنظـام السياسـي تزيـد الاعـتراف بهـا الأخـير كنظـام صـائب والصـحيح، النظـام السياسـي يسـتحق هـذا الإعـتراف، أو المشـروعية هـي قـدرة نظـام سياسـي علـى أن يـتم الإعـتراف بـه"[1]، وبهـذا فالشـرعية نعـني بهـا الأفـراد يـدفعون باسـتخدام الحجـج وتكـون هـذه الحجـج ثابتـة، كمـا نجـد أن الاعـتراف قائم على الحجج بمعنى المناقشة وتكون الشرعية معبرة على المجتمع من خلال النقاش أو ايتيقا النقاش.

كمـا أقصـد بالمشـروعية الإعـتراف الـذي يسـتفيد منـه نسـق مـا كمـا ترجـع اهميـة المشـروعية إلى ضـمانة الانـدماج الإجتمـاعي خـاص بمجتمـع محـددة بواسـطة معـايير بحيـث تتمثـل وظيفـة إشـكال الشـرعية عنـد الاسـتجابة لهـذه الضـرورة، فقـد أجـرى "فـون كيلمـا نيسـع"* ناقـدا لنظريـة الفيدريـة الخاصـة بأنمـاط المشـروعية نظـر إلى السـلفية والكـاريزم بوصـفها اسـتعدادا يوسـع أي النظـام السياسـي أن تقبلهـا سـتميز بـين التكويني السلطة الشرعية** والأشكال التي تكتسبها.

1/المبررات الخاصة بضمان الشرعية.

2/ مختلف أشكال أسئلة السلطة.[2]

إن الشـرعية تأخـذ بـالاعتراف هـذا كلـه قائمـة علـى حجـج حيـث أنهـا تضـمن حيـاة الأفـراد مـن خـلال القـانون، وهـذا لا يمكـن تحقيقـه إلا مـن خـلال دولـة القـانون الشـرعية، والاعـتراف كفيـل بتـأمين حياة الأفراد، داخل المجتمع.

---

[1] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص185.

* السلطة: قدرة على إصدار الأمر والتنفيذ (مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص 351)

** هـي السـلطة المعـترف بهـا في القـانون كسـلطة الحـاكم أو الوالـد أو القائـد هـي مختلفـة عـن القـوة، لأن صـاحب السـلطة الشـرعية يـوحي إلى الاحـترام والثقـة عكـس صـاحب القـوة يـوحي إلى الخـوف والحـذر، وإن سـلطة الدولـة في النظـام مسـتمدة مـن إرادة الشـعب لأن الغـرض منهـا حفـظ حقـوق النـاس وصـيان مصـالحهم، لا تسـخيرهم لإرادة مسـتبد ظـالم مـن فـرض سـلطانه علـى النـاس بـالقوة لم يقلـب قوتـه لم يضـمن بقـاء سلطانه. (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص 670)

[2] المصدر نفسه، ص 192.

فهابرماس يؤكد أن أصل الشرعية في إطار مختلف النقاشات جيدة حول النظام السياسي للاعتراف فنجد أن الإعتراف يشمل مختلف العدل تكون الملائمة بحيث يكون الإستقرار هو إحدى النتائج المضمنة للشرعية.

حيث نجد أن الشرعية وأزمة الشرعية منذ "سولون"* أنها مطلب للدولة ومن خلال الحكم وظهور شرعية كلفظ في العصر الوسيط الاوربي من المزارعين حتر يرجع مفهوم الشرعية إلى مد من ذلك الحضارات القديمة فهي بذلك لا تخص المجتمع البرجوازي والدولة الحديثة فقط.[1] من خلال هذا يتضح لنا ان الشرعية تشير بدرجة كبيرة إلى نص قانوني أو حيث يصطلح على الشرعية القانون السياسي، فالشرعية ارتبطت في بلورة الأوضاع السياسية والإقتصادية التي عرفها المجتمع، فالشرعية في العصور القديمة تشير إلى الطابع الديني أي تقوم على أساس ديني، فالعصور الوسطى شهدت أوربا النظام الإقطاعي كمحور للحياة الإقتصادية والاجتماعية.

يقول هابرماس: "تأخذ نزاعات المشروعية بصورة مميزة شكل حركات نبئوية ومسيحية تهاجم هذه الأخيرة في كل منزلة الصيغة الرسمية للمذهب الديني يشرعن الدولة إكليروسية، للكنيسة أو السيطرة الإستعمارية ويستند إذا الثائرون إلى الرسالة الدينية"[2]

في مقابل هذا القول يتضح لنا أن في العصور الوسطى استخدمت مفاهيم متعددة منها القانون الإلهي حيث نجد أن هذه القوانين تطبق على البشر حيث نجد أن الحاكم يستمد مشروعيته من الأوامر الدينية.

* ولد حوالي (638-588) ق.م وقد اشتهر بأنه وضع أشهر دساتير أثينا والذي انقذها من الإضطرابات الداخلية (عزت قرني: الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، ص 18)

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 270.

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص 189.

المطلب الثاني: الشرعية والدولة الحديثة

يركـز هابرمـاس كثـيرا علـى التنظـيم السياسـي للمجتمعـات، والشـرعية يقصـد بهـا شـرعية الاسـتحقاق للنظـام السياسـي الاعـتراف بهـا، يوضـح هابرمـاس مشـكلات الشـرعية ليسـت خاصـة بالمجتمعـات الحديثـة، إنمـا في المجتمعـات التقليديـة حيـث قامـت الرأسماليـة بنـاء شـرعيتها علـى فكـرة تبـادل السـوق فـإن المجتمـع الـتي تركـز فيـه علـى الشـرعية علـى أعمـال السـوق فـإن هـذه الأقليـات تهـدد التكامـل الاجتمـاعي.[1] مـن خـلال القـول نجـد أن الشـرعية مرتبطـة بشـكل كبـير بالهيمنـة الإيديولوجيـة الفكريـة في المجتمعـات الرأسماليـة حيـث نجـد هابرمـاس نـاقش شـرعية السـلطة السياسـية كمحـور لعمليـة بنـاء الدولـة حيث يرى أن الشرعية في الدولة الرأسمالية تحدث أزمة سياسية.

يقـول هابرمـاس: "يمكـن أن نفهـم الدولـة كنتيجـة للتمـايز التـدريجي لنظـام اقتصـادي يعـين سـيرورة الانتـاج فيمـا يتعـدى أي صـورة لا مركزيـة ولا سياسـية تـنظم الدولـة وتجمـع الشـروط الـتي تتـيح للبرجـوازيين كـأفراد يتحركـون في جـو تنـافس فيمـا بيـنهم حسـب اسـتراتيجية واضـحة الغايـات، مسـاندة لسـيرورة الانتـاج"[2]، مـن خـلال هـذا يتبـين أن هابرمـاس حـاول أن يضـع نمـوذج جديـد للاتصـال بـين الفـرد والمجتمـع الـذي يعـيش فيـه، حيـث نجـد أن النظـام السياسـي يـؤدي بـدوره إلى خلـق نـوع مـن التـوازن بـين الأفـراد داخل المجتمع، ونجد أن مفهوم الشرعية يسعى إلى الربط بين النظام السياسي داخل الدولة.

إن إعـادة المزاوجـة بـين الدولـة والنظـام الاقتصـادي، حيـث أكـد هابرمـاس علـى الشـرعية في ومـن العقلانيـة، بحيـث تكـون الشـرعية بدرجـة كبـيرة رسميـة وأكـد أن الايـديولوجيا القديمـة البرجوازيـة قـد انهـارت، وأعطـى بـديل في ذلـك هـو الديمقراطيـة الرسميـة حيـث أكـد هابرمـاس أن المشـاركة الـتي لا يتخللهـا أي نـوع مـن الـنقص أو غـير الزائفـة تجعـل الأفـراد مـدركين في ذلـك المجتمـع الـذي يكـون فيـه الانتـاج مـن اهتمـام الدولـة.[3] ومـن هـذا يمكننـا القـول أن الشـرعية بصـورة كبـيرة في العقلانيـة تتميـز بنـوع مـن الصـحيح أي

---

[1] رث والآس ألسون وولف: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، دار مجد لاوي، 2012م، ص 288.

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، المصدر السابق، ص 197.

[3] المصدر نفسه، ص 291.

تكـون الرسميـة، أمـا بالنسـبة للايـديولوجيا كفكـرة للمجتمـع البرجـوازي قـد تراجعـت، وهنـا نجـد هابرمـاس أكد على فكرة الديمقراطية حيث يمكن لأفراد المجتمع أن يعيشوا داخله في إطار سياسي.

يقـول هابرمـاس: "تقـاس عقلانيـة السـيطرة حسـب المحافظـة علـى منظومـة مـا يمكـن لهـا أن تسـمح بخلـق تصـاعد قـوى الانتـاج المرتبطـة بالتقـدم العلمـي التقـني وصـولا إلى أسـاس شـرعية هـذه المنظومـة علـى الـرغم مـن أن سـوية قـوى الانتـاج تتحـدد مـن جهـة ثانيـة القـوة الكامنـة الـتي تظهـر معهـا التنـازلات المفروضـة"[1] مـن خـلال القـول يتضـح أن المجتمعـات الرأسماليـة تميـل إلى فقـدان طابعهـا الاسـتغلالي الواضـح حيـث تتخـذ طـابع العقلانيـة، دون أن تحقـق السـيادة* السياسـية، حيـث نجـد أن العقلانيـة تحـافظ علـى النظـام ممـا يـؤدي إلى تزايـد قـوى الانتـاج، ونجـد أن التكنلوجيـا تضـفي عقلانيـة علـى مـا يعانيـه الإنسـان مـن نقص الحرية.

يعتـبر هابرمـاس أن الدولـة الحديثـة مـرت أو تشـكلت عـبر خمـس تشـكيلات أساسـية هـي بـنى الدولة الحديثة أو الأمة:

أ/ الـدنبوة: نجـد أنهـا وضـعت قطيعـة مـع كـل تقليـد ديـني، حيـث تمـد هـذه المجادلـة حـتى القـرن التاسـع عشـر، حيـث حـاول منظروهـا إلى تأسـيس قـيم دينيـة السـلطات التقليديـة للكنيسـة وللنظـام الملكـي وللمجتمع الحرفي.

ب/ الحـق العقلـي: يتمثـل في تكـوين نـوع إجرائـي للمشـروعية مـن "هـوبز" إلى روسـو وكـانط، أي تخلـيص مسـائل العدالـة مـن الدلالـة الأنطولوجيـة وتحويلهـا إلى الحقـل العملـي في التخفـيض مـن قيمـة المشـروعية.[2] مـن خـلال هـذا يتضـح أن الشـرعية وضـعت قطيعـة مـع الجانـب الـديني لاسـيما مشـروعيتها مـن الـدين أو

[1] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص 45.

* يطلـق السـيد في علـم السياسـة علـى الفـرد أو الجماعـة مـن جهـة مـا هـما مجتمعـان بسـلطان في الدولـة، قـال "روسـو" في كتابـه العقـد الاجتمـاعي contrat social إن هـذا الشـخص العـام publique الـذي يتـألف مـن إتحـاد جميـع الأشـخاص الآخـرين سمي في الماضـي مدينـة، وهـو يسـمى الآن الجمهوريـة أو هيئـة سياسـية إذا كـان قـابلا ومـنفعلا سمي دولـة، إذا كـان فـاعلا يسـمى سـيدا، وإذا كـان قـرن بامتثالـه سمي سلطة. (جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج1، ص 678.)

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص 200.

الاوامـر الدينيـة حيـث نجـد هـوبز أكـد علـى أن الشـرعية أو الحكومـة لا تسـتند إلى منحـة إلاهيـة بـل إن المشروعية هي منحة من الشعب.

ج/ المبـادلات الرأسـمالية والحـق المجـرد: نجـد أن فلاسـفة الأنـوار وكـذلك هـوبز ولـوك، يسـهمون في تكـوين نظريـة للمجتمـع المـدني يمثـل بالنسـبة إليـه نظـام الحـق البرجـوازي والحريـات الأساسـية للمـواطن ومؤسسة العمل الرأسمالية.

د/ السـيادة: نجـد أن السـيادة تفـرض نفسـها في الـدول وسـتحل إذا في اتجـاه مؤيـد للحكـم المطلـق، أكـان موضـوع المشـروعية مـرتبط بسـلطة عامـة للشـعب أو الهويـة القوميـة، أمـا بالنسـبة للأمـة نجـد أن القوميـة نشـأت داخـل الثقافـات مختلفـة اعتمـادا علـى اللغـة حيـث تصـبح الهويـة القوميـة مركزهـا في عـالم الشـرعية.[1] مـن خـلال القـول يتضـح لنـا انتقـال مـن المجتمـع المـدني (الحـق البرجـوازي إلى البعـد الرأسمـالي هنـا نطـرح فكـرة سـيادة الشـعب أو حكـم الشـعب، ويـرى هابرمـاس أن الدولـة الرأسماليـة الحديثـة تسـيطر علـى عـدة ميـادين مـن الحيـاة، ولم يعـد ينظـر إليهـا مـن خـلال النقـاش بـل اعتبارهـا مشـكلات تقنيـة وقـد حددتـه أنمـاط مـن الأزمات: الأزمة الاقتصادية، أزمة العقلانية وأزمة الشرعية، أزمة الدافعية.

أ/ الأزمـة الاقتصـادية: هـي الـتي تـؤدي إلى الصـراع بـين العمـال ورأس المـال، هـي أزمـات في صـلب النظـام، كمـا أن هابرمـاس لا يـدعي أن الأزمـات الاقتصـادية قـد اخفقـت فمـن الصـعب التمسـك بـرأي هكـذا أي أن الأزمـات الاقتصـادية أخفقـت بعـد تـدخل الدولـة.[2] فالـدول الرأسماليـة ومـا تفرضـه مـن مختلـف السـيطرات في جميـع المجـالات حيـث تأكـد أن الحيـاة في الـداخل تتعـدى معـنى النقـاش أو مـا يطلـق عليهـا المناقشة من الأفراد فيصبح هناك نوع من السيطرة والهيمنة فيؤكد كل هذا لأن تنتج نوع من الأزمة.

يقـول هابرمـاس: "تتحـدد الرأسماليـة مـن خـلال أسـلوب الإنتـاج الـذي لا يطـرح هـذه المشـكلة فقـط وإنمـا يحلهـا وهـي تقـدم شـرعية السـيطرة الـتي لا يمكـن أن تسـتجدي تـراث ثقـافي، وإنمـا تنـزع مـن قاعـدة العمـل الإجتمـاعي ومؤسسـة السـوق الـتي تتبـادل فيهـا أصـحاب ملكيـات خاصـة بضـائعهم".[3] فـالتركيز

---

[1] المصدر السابق، ص ص201، 202.

[2] إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارستونر إلى هابرماس، مرجع سابق، ص ص 312، 315.

[3] يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص 63.

على الجانب الثقافي الذي تمارسه من أجل الهيمنة على حركة المجتمع، حيث كانت الرأسمالية أكثر مرونة في معالجة أزماتها والتكيف معها، فأسست المجتمع الرأسمالي من جهة ثانية في شق العمل الإجتماعي يتأكد تقدم تراكمي لقوى الإنتاج الأفقي المنطلق منه، لما تحت أنساق الفعل العقلاني الهدف بطبيعة الحال بثمن أزمات اقتصادية[1]، يتضح أن وظيفة علاقات الإنتاج تتمثل في إنتاج تنظيم وامتلاك لوسائل الإنتاج كذلك توزيع مختلف الثروات على المجتمع.

أما بالنسبة للأزمة العقلانية هي أزمة من صميم النظام الرأسمالي ينشأ بالافتراض للدولة من أجل تأدية وظائفها مما يؤدي إلى ظهور أزمة المالية بحيث تنتج عدم قدرة الدولة على التوفيق بين المصالح المتباينة والمتضاربة لرأس المال، أم الأزمة الشرعية: تتمثل في عدم إيجاد السبل للتوفيق بين المواطنين، حيث فيما بعد ذلك تفقد شرعيتها لأنها فشلت في آداء مهامها، أما بالنسبة للأزمة الدافعية فهي التي تشكل أزمة التكامل الاجتماعي، وهنا يظهر نوع من السيطرة أو ما يعرف بطغيان الدولة، هذه السيطرة تؤثر في إضغان دافعية الناس[2]، يتضح أن العقلانية تقع تحت تأثير الرأسمالية بحيث أكدّ أن هناك أربعة أزمات التي تعاني منها المجتمعات الرأسمالية حيث حاول أن يقدم تقويما للتحول الذاتي للرأسمالية المتطورة.

يقول هابرماس: "تعرضت إلى تصورين للشرعنة: الموقف التجريبي والموقف المعياري، التصور الأول قابل للتطبيق في إطار العلوم الاجتماعية، لكنه غير كاف لأنه يغض النظر عن الوزن الميتودولوجي* لتبريرات تنبيت الصلاحية هو يتلاءم التصور الثاني، تصور أفضل مع أرضية التطبيق هذه"[3]، إذن فالشرعية قانون في المجتمعات الديمقراطية أي المساواة والاستقلال، وكذلك أخلاقيات النقاش تعد مبادئ ضرورية لا بد منها وكذلك تعطيل الديمقراطية نتيجة استمرار صراع بين المصالح وقوى السوق وكذا الاستعداد السياسي.

---

[1] المصدر السابق، ص 64.

[2] إيان كريب: النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، مرجع سابق، ص 316.

* هو علم الأساطير ويطلق على مجموعة من الأساطير.

[3] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص215.

المبحث الثاني: القانون والحق عند هابرماس

المطلب الأول: القانون

إن النظـام السياسـي يسـعى إلى تحقيـق القـانون، وهـذا الأخـير يحـاول أن يمـارس وظيفتـه داخـل المجتمـع، فهابرمـاس يحـاول أن يحقـق مجتمـع ديمقراطـي حيـث أن هـذا المجتمـع يحـافظ علـى الممارسـة القانونيـة، وكـذلك المحافظـة علـى الحريـات الفرديـة حيـث نجـد أن المشـاركون في النقـاش يعتمـدون علـى القـوانين، فالقـانون حسـب هابرمـاس: "لا يتطلـب فقـط قبـولا ولا يتطلـب ممـن يتوجـه إليـهم اعـتراف واقعيـا فقـط، بـل يتطلـب أن يسـتحق الاعـتراف بـه، لهـذا تـدخل في نطـاق إضـفاء الشـرعية علـى نظـام رسمـي يأخـذ شـكلا قانونيـا بحـل التركيبـات والبراهـين العامـة الـتي يتطلـب القـانون جـدارة الاعـتراف بـه"[1] ، يتضـح مـن خـلال القـول أن الحقـوق يجـب حمايتهـا مـن طـرف المشـاركين في العمليـة حيـث نجـد هـذه الأخـيرة تضـمن حـق المشـاركة الفعـال في الجانـب السياسـي، فالقـانون لا يتطلـب الاعـتراف بـه مـن طـرف المشـاركين مـن أجـل أن يتحقق توفير حقوق الأفراد وتكون متساوية.

إن القـانون هـو الوسـيلة الـتي تسـاعد المجتمعـات الحداثيـة علـى تحقيـق عبـاء الإنـدماج الإجتمـاعي الواقـع علـى التواصـل والخطـاب الأخلاقـي، لنتـذكر أنـه بحسـب روايـة هابرمـاس فـإن الوظيفـة الإجتماعيـة للخلقيـة هـي تسـوية تضـاربات المصـالح وتنسـيق الأفعـال وإقامـة النظـام الإجتمـاعي.[2] يتضـح مـن خـلال هـذا أن القـانون هـو الـذي يسـاعد علـى خلـق نـوع مـن الادمـاج الاجتمـاعي، فـالقوانين الـتي تضـعها الدولـة تحقق نوع من الحرية داخل المجتمع.

ونجـد أن كـانط أشـار للشـرعية، ولا يمكـن للأشـخاص أن يخضـعوا للقـانون مـن غـير مسـؤولية أخلاقيـة أو الخلقيـة، بحيـث تكـون معـايير القـانون كافيـة، بمعـنى تكـون قـوانين الحريـة وكـذلك تكـون إجباريـة حيث نجد أن الدولة يجب أن تحقق أمرين هما:

1/ قانونية التصرف: معناها اتباع المعايير والمجبر عليها عند الضرورة تكون عن طريق العقوبات.

---

[1] أبو النور حمدي أبو النور: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 230.

[2] جيمس جوردن فينليسون: يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ص 213.

2/ شـرعية القـانون: معناهـا احـترام القـانون أي وضـعية القـانون المضـاع، حيـث نجـد أن المعـايير الدسـتورية قابلة للتغيير[1]

إذن فكـانط أكـد علـى أن القـانون شـرط أساسـي في عمليـة المشـاركة السياسـية أو المجتمـع المـدني بحيـث يكون الشعب خاضع لهذه القوانين، وكذلك يكون الشعب الواضع لهذه القوانين.

إن مبـدأ الكونيـة يـنص أن تكـون المعـايير المقبولـة باعتبارهـا صـالحة هـي فقـط تلـك الـتي تعـبر عـن إرادة عامـة أو بتعبـير كـانط تلـك تـلاءم القـانون الكونيـة[2]* ، يتبـين لنـا أن مبـدأ الكونيـة عنـد كـانط وهابرمـاس أن أخلاقيـات المناقشـة كـان هـدفها تحقيـق التفـاهم والسـلام، وهـو إشـارة إلى أخـلاق كـانط الكونيـة كـذلك مـع إعـادة صـياغة التواصـلية بـين الـذوات، بحيـث نجـد أن الاخـلاق لهـا طـابع كـوني الهـدف منها هو إقامة أخلاق كونية ذات طابع عالمي شمول.

يفهـم هابرمـاس القـانون بمعنييـه كوسـيط وكمؤسسـة علـى أنهمـا متلازمـان فالقـانون كوسـيط يبقـى مـرتبط بالقـانون كمجـال مؤسسـي للخطـاب العملـي، إذ ينطبـق القـانون كوسـيط علـى المنظمـة القانونيـة للاقتصـاد والدولـة، وكـذلك علـى تـدخلات التعليمـات السياسـية في التركيبـات غـير الرسميـة للعـالم المعـيش.[3] يبـين هابرمـاس أن القـانون بصـفته نسـقا قـادر علـى التـأثير في بنيـات التواصـل داخـل العـالم المعـيش، ويؤكـد علـى العلاقـات الإجتماعيـة داخـل المجتمعـات الحديثـة، بحيـث يؤكـد هابرمـاس علـى النسـق والعـالم المعـيش وهـذا مـا جعلـه يميـز بـين نـوعين مـن القـانون، القـانون بصـفته وسـيطا بـين المؤسسـات والأفـراد، والقـانون بصفته نسقا يعطي الشرعية الأخلاقية في المؤسسات.

يؤكـد هابرمـاس أنـه بواسـطة دولـة القـانون هـذه اسـتطاعت أن تخلـق البنيـة القاعديـة كجهـاز إداري مـنظم، وإن تـوفر الضـمانات الضـرورية للفضـاء غـير المنتمـي للدولـة وكـذا للنشـاط الفـردي والجمـاعي،

---

[1] أبو النور حمدي أبو النور: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص ص 230، 231.

* مـن مصـطلحات النظـام العـالمي الجديـد المقصـود بـه عـدم شـجب أي نسـق فلسـفي بـل محاولـة اقتنـاص فكرتـه المحوريـة للإفـادة منهـا في تأسيس رؤية كونية لا تقبل العلق ولا تتزلق إلى الدوغمائية وإنما تظل مفتوحة وناقدة لذاتها.(مراد وهبة: المعجم الفلسفي، ص 524)

[2] عز الدين الخطابي: حوار الثقافات الكونية والخصوصية، رؤى، العدد 28، ص 03.

[3] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 283.

والأهـم مـن ذلـك بالنسـبة لـه هـو أنهـا مهـدت الطريـق مـن خـلال التجـانس الثقـافي الـذي أحدثتـه[1] يتضـح مـن خـلال القـول أن القـانون يضـمن حقـوق الأفـراد، فهـو ضـروري داخـل المجتمـع لأنـه هـو الـذي يسـير شؤون الأفراد وكذلك يحافظ على حقوقهم داخل مجتمعاتهم.

ويعتـبر هابرمـاس علـى وجـه الدقـة، أن مبـدأ السـيادة الشـعبية شـرط أساسـي لشـرعية القـانون في الديمقراطيـة، فهـو الـذي يسـمح للمـواطنين بحقـوق تكفـل لهـم إمكانـات المشـاركة المتسـاوية في بلـورة الإدارة العامـة الـتي تكتسـي طـابع المؤسسـة القانونيـة لتقريـر إرادتهـم السياسـية[2] ، وعلـى العمـوم فـإن السـيادة تـرتبط بشـكل مباشـر بالدولـة فـلا يمكـن أن نتصـور دولـة دون أن تكـون لهـا سـيادة مرتبطـة بهـا في جميـع المجـالات، والسـيادة تمثـل وجـود الدولـة كمـا أنهـا المعيـار الـذي يعطـي للدولـة حـق الشـرعية في الحكـم فـالقول أن الأفـراد لهم السيادة بمعنى أنهم أحرار في التصرف.

لا يكـون القـانون مشـروعا مـا لم يتمثـل روح الشـعب كواقـع تـاريخي ويعـبر عنـه، أعـني مسـتمد مـن قيمـه وطموحاتـه وإلهاماتـه وعاداتـه وتقاليـده، ونظرتـه العامـة للحيـاة.[3] فالقـانون أو ممارسـة الحقـوق والواجبات في مجتمع ما، لا يمكن أن يتحقق بمجرد أن يكون في الدستور الدولة.

لا يكـون قـانون مـا مشـروعا مـا لم تدعمـه وتنفـذه سـلطة عامـة ومهتمـة بهـذه السـلطة أن تحقـق مـن أجـل العدالـة قـد أخـذت مجراهـا في المجـالات الـتي يسـبب فيهـا المـواطنين صـراع أو ينتهـك فيهـا القـانون.[4] وعلـى هـذا فتحقيـق شـرعية الدولـة يـؤدي بصـورة فعالـة إلى احـترام القـوانين، وإن سـيادة الدولـة ورقابتهـا مـن سمات الدولة القانونية تؤدي إلى تحقيق العدالة وكذلك ضمان حقوق المواطنين وحرياتهم.

---

[1] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011م، ص 59.

[2] حسن مصدق: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت النظرية النقدية التواصلية، مرجع سابق، ص 191.

[3] إمـام عبـد الفتـاح إمـام: الطاغيـة دراسـة فلسـفية لصـور مـن الاسـتبداد السياسـي، المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب، 1994م، ص 241.

[4] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

المطلب الثاني: الحق

إن الحـق عنـد هابرمـاس ينقسـم إلى ثـلاث أقسـام هـي: الحقـوق يقصـد بهـا الحقـوق الطبيعيـة وكـذلك الحقـوق السياسـية، الحقـوق الاجتماعيـة، فنجـد أن الحقـوق الطبيعيـة قـد أنتجهـا الفكـر الليبـيرالي، أمـا الحقـوق الاجتماعيـة فقـد وضـعها الفكـر الاشـتراكي حيـث تنـدرج هـذه الحقـوق بقـوانين دوليـة ووطنيـة، ونجـد أن الحقـوق السياسـية تمـس مـع المـواطن بتمتعـه بتقريـر مصـيره بنفسـه، أي حريـة تقريـر المصـير، هـذا كلـه في إطـار النقـاش في مواضـيع الحـق، وإن الدولـة تحـافظ علـى عـدم انتهـاك الحريـات، أمـا بالنسـبة للحقـوق الإجتماعيـة فهـي تحـافظ علـى المـواطن مـن خـلال تـأمين الصـحة والتعلـيم.[1] يتضـح مفهـوم حقـوق الانسـان مـن خـلال ثـلاث عناصـر أو روافـد أساسـية فكـرة الحريـة أو الحريـات، حيـث نجـد الحقـوق تندرج بدرجة كبيرة للتعبير عن رأي الأفراد وذلك للحفاظ على حقوقهم وحرياتهم.

مـع النظـام الليبـيرالي الـذي كـان يتمفصـل حـول الحقـوق المدنيـة وحمايـة الحريـة عقلانيـة سياسـية جديـدة بإدخـال مفهـوم الحقـوق الإجتماعيـة، هـذه الأخـيرة تقـرر أن شـروط الحيـاة السـعيدة لا تقـل أهميـة في المجتمعـات الإنسـانية علـى المثـل الأعلـى للحريـة الـذي مـا فتئـت تسـتنده الليبيراليـة.[2] يتضـح أن الفكـر الليبيرالي يركز على الحرية حيث أصبح دور الدولة ينحصر في نقطة مهمة هي حماية الحرية الفردية.

أكـد هابرمـاس علـى إخضـاع الحـق إلى إجـراء الحجـاج أي الفهـم المتبـادل بـين المـواطنين ممـا يسـمح بوضع قوانين وكذا الاعتراف بحقوقهم، وتتمثل هذه الحقوق فيما يلي:

1/ الحقوق الأساسية تتمثل في الحريات الذاتية بين الناس.[3]

2/ الحقوق الأساسية للانتماء أو العضوية في الجمعية.

3/ الحقوق الأساسية في الحماية القانونية للأفراد.

---

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 281.

[2] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص 64، 65.

[3] خديجة زتيلي: الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكالات، منشورات الاختلاف، ط1، 2014م، ص 154.

يتضح من خلال هذه العناصر الثلاث أن هابرماس يؤكد أن الحجاج أساس في عملية الفهم المتبادل بين الناس، وهذا من خلال ضمان الحقوق بواسطة القانون، مما يؤدي إلى الإعتراف الكامل بحقوق متجهة نحو الأفراد.

وفق المنظور التواصلي للحق يتخذ المواطن دور المشرع فيتداول ويناقش ويقرر طريقة سن الحقوق، ولذلك يضفي مبدأ المناقشة الصورة القانونية كمبدأ ديمقراطي، فمن الضروري إذن أن تضمن الحقوق السياسية محل البحث ومشاركة الكل في مسارات الدولة والقرار ذي الصلة بالتشريع.[1] في إشارة إلى الفعل التواصلي من منظور الحق يلعب الفرد دورا هاما في شرعية الحقوق، من خلال المناقشة إذ يمكن القول أن الفرد يضمن حقوقه، هذا كله في إطار ما يعرف بالديمقراطية، وتكوير الحق من خلال أخلاقيات النقاش والمناقشة.

[1] خديجة زتيلي: الفلسفة السياسية المعاصرة، المرجع السابق، ص 154.

المبحث الثالث: الديمقراطية* من منظور هابرماس

المطلب الأول: الديمقراطية والليبيرالية**

إن الفكـر الليبـيرالي يعمـل علـى ضـمان الحريـة، أمـا بالنسـبة لمفهـوم الفكـر الجمهـوري يعتـبر أن القـوانين تعـبر عـن إرادة المـواطنين، أي أن المـواطنين يعملـون علـى تشـكيل الإرادة العامـة وتقريـر المصـير، يتضح من خلال هذا فريقين هما الفريق الليبيرالي والفريق الجمهوري:

أ/ الفريـق الأول: حسـب الليبيراليـة أن العمليـة الديمقراطيـة أساسـا واحـدا هـو القـانون أو الدسـتور هـو شـرط أساسي، وكذلك اعتبار أن الدستور متأصل في الديمقراطية.

ب/ الفريـق الثـاني: حسـب الجمهوريـة فـإن القـانون هـو جـزء لا يتجـزأ مـن سمـات الديمقراطيـة مرتبطـة بحقـوق المواطنين.[1]

مـن خـلال هـذا القـول يتبـين لنـا أن الفكـر الليبـيرالي يسـعى لضـمان الحقـوق الفرديـة أي ضـمان حيـاة الفـرد المسـتقل، والهـدف مـن كـل هـذا هـو تحقيـق الرفاهيـة الفرديـة وكمـا نجـد أن الفكـر الليبـيرالي قـائم على احترام الحريات الفردية والتركيز على مبدأ المساواة واحترام الحق في التملك الخاص وفتح الأسواق.

يقـول هابرمـاس: "الـدور الـذي يمكـن للديمقراطيـة الدسـتورية أن تمنحـه للمثقفـين المنشـغلين بمسـائل الحيـاة العامـة أو العموميـة، فـالمثقف وعلـى النقـيض مـن الخبـير العلمـي والطبيـب المعـالج حيـث يضـع كـل منهمـا نصـائحه بتصـرف وكـالات تابعـة للدولـة أو لأفـراده خـواص يتوجـه مباشـرة إلى المجـال الليبـيرالي"[2] إذا

---

* نظـام اجتمـاعي الشـعب فيـه مصـدر السـلطة، يمـارس نـواب لـه وممثلـون عنـه مـن خـلال التشـريعات الـتي يقرونهـا ويحكـم بمقتضـاها النظـام القضـائي مـن خـلال مـوظفين عمـوميين، والجهـاز الاداري للدولـة وتـنظم بهـا العلاقـة بـين الحـاكم والمحكـوم وبـين أفـراد الشـعب بعضـهم ببعض.(ينظر حنفي: معجم شامل، ص 357)

** الديمقراطيـة الليبيراليـة representetive domocraty نسـق مـن الديمقراطيـة يركـز علـى المؤسسـات البرلمانيـة النيابيـة، وتغـيرت في نظـام الاقتصـاد الحـر في مجـال الانتـاج الاقتصـادي. (ينظـر أنتـوني عـدتر: علـم الاجتمـاع، تـر: فـايز الصـياغ، المنظمـة العربيـة للترجمـة، بـيروت، ط1، 2005م، ص 750)

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص ص 298، 299.

[2] يورغن هابرماس: إيتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص 65.

فالديمقراطيـة الليبيراليـة تتـيح الحريـة لكـن بشـرط أن يلتـزم الحقيقـة ومصـلحة الدولـة لا مصـلحة السـلطة، بمعنى احترام القانون هي بمثابة تعبير عن إرادة الشعب صانع الدستور.

يتضـح أن هابرمـاس يؤكـد علـى أنـه ثمـة علاقـة بـين النظـام الليبيراليـة والديمقراطيـة في الحكـم، لكـن المعيـار الأساسـي للديمقراطيـة لـيس هـو إلا احتواءهـا في الليبيراليـة، وإنمـا تقـوم علـى أسـاس التعاقـد الحـر بـين الأفـراد بحيـث ينظمـون الحيـاة علـى قواعـد تضـمن لهـم العـدل فيمـا بيـنهم، كمـا أن ضـمان الحقـوق الفرديـة تفترض النظام السياسي.

فالدولـة الرفـاه* كمـا يطلـق عليهـا هابرمـاس الدولـة الإجتماعيـة، التكيـف ضـد النظـام الليبـيرالي، النظـام الـذي كـان يركـز علـى الحريـة والحقـوق المدنيـة، يسـعى إلى إدخـال مفهـوم جديـد عقـلاني خـاص بـالحقوق الإجتماعيـة، بحيـث نجـد أن مهمـة الدولـة الاجتماعيـة تضـمن الحيـاة الاجتماعيـة، هـذا كلـه في إطـار تسـاوي الأفـراد فيمـا بيـنهم، وإن الدولـة تسـعى إلى إحـلال مبـدأ العدالـة الإجتماعيـة وتحقيـق المسـاواة بـين الأفـراد، وكـذلك القضـاء علـى الصـراع النـاجم عـن الإنقسـام الطبقـي، فالدولـة هـدفها الأساسـي هـو تحقيـق التنشـئة الإجتماعيـة[1] يتبـين لنـا أن الدولـة الرفـاه عنـد هابرمـاس تسـعى لتنظـيم الحقـوق المدنيـة لكـن خـارج البيروقراطيـة والنظـام الليبـيرالي، حيـث أصـبحت فيهـا القـوانين تشـكل العلاقـات، كمـا أن الدولـة الرفـاه تسـعى إلى تـوفير نـوع مـن علاقـات الأفـراد مـن أجـل ضـمان حريـاتهم، وهـي كـذلك تلـبي احتياجـات الانسان الأساسية لمواطنيها كجزء من الحقوق الأساسية، وضمان الأمن الإجتماعي والرفاهية.

* نظـام سياسـي يتلقـى فيـه المواطنـون مجموعـة واسـعة مـن خـدمات الرفـاه الإجتمـاعي (أنتـوني عـدتر: علـم الاجتمـاع، تـر: فـايز الصـباح، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص 750)

[1] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص 46، 65.

المطلب الثاني: الديمقراطية التشاورية*

هابرماس أراد تأسيس ديمقراطية قائمة على الجماعة مثالية للتواصل، خالية من أي نوع من الهيمنة والسيطرة، ويعد مفهوم التشاور من المفاهيم المركزية في نظريته الديمقراطية، فالتشاور يعطي للآخرين الحق في الكلام وتقديم الاقتراحات بخصوص القضايا المطروحة في الفضاء العام، كما أن الهدف من الديمقراطية التشاورية ليس الدفاع عن المصالح الفردية أو الشخصية، وإنما الدفاع عن المصالح الجماعية أو العامة، وتقييم الاعتماد على المناقشة الحجاجية[1] ،يتبين من خلال القول أن الديمقراطية مرتبطة بالفعل التواصلي والمشاركين في النقاش، بمعنى أن يكون الفاعل بين الأفراد، كما يؤكد أن الديمقراطية هي النموذج الفاعل لجميع الأفراد للتعبير عن آرائهم وتوجهاتهم الفكرية والثقافية وإمكانية التفاهم ولا يتم هذا كله إلا في المناقشات العامة والديمقراطية التشاورية.

"التشاورية هي ضرب مطور من التمثيلية المحلاة بالمباشر وأقصد بذلك أنها من خلال الانتخاب فهي تشير إلى التمثيل من خلال الفضاءات العامة التي أسميناها "أغوار المعاصرة" ستصبح مباشرة فهي مفهوم محاط ويراد له التحقق بصورة فعالة لكن ليس بمطلقيات ويوتبيات هابرماس في النقاش والإجماع"[2] يتضح من ذلك أن التشاور في معناه هو تبادل الآراء ووجهات النظر حول القضايا السياسية، فمبدأ التشاور له أثر في وحدة المجتمع وتماسكه إذ بواسطته يتمكن الفرد من الإستفادة من فن الآخرين.

ويتضح أن هناك ثلاث مفاهيم أساسية في نظريته الديمقراطية:

أ/ العقلانية: تسعى العقلانية على تكوين السلطة.

ب/ السلطة: توجد داخل الإدارة وتعبر عن طبيعتها لارتباطها بالتكوين الديمقراطي.

---

* نظام ديمقراطي تشارك فيه جميع أعضاء الجماعة أو المجتمع المحلي بصورة جمعية في انجاز القرارات المهمة (أنتوني عدنز: علم الاجتماع، مرجع سابق، ص 750)

[1] محمد الأشهب: الفلسفة والسياسة عند هابرماس، مرجع سابق، ص 196.

[2] نور الدين علوش: فلسفة السلطة السياسية عند هابرماس، مرجع سابق، ص 148.

ج/ الـرأي العـام: تتحـول فيهـا السـلطة أو الـرأي العـام إلى السـلطة التواصـلية بمعـنى مشـاركة بـين الأفـراد في تقرير المصير.

كمـا أن هابرمـاس في نظريتـه الديمقراطيـة يؤكـد علـى اسـتنادها إلى أخلاقيـة المناقشـة أو التواصـل فالعلاقـة التواصـلية تقييميـة وتجريبيـة، فتكـون تقييميـة إذ تعتمـد علـى أخـلاق يـتم الاتفـاق عليهـا، وتجريبيـة لأنهـا مسـتمدة مـن العـالم المعـيش.[1] يتضـح أن هابرمـاس يـربط بـين الديمقراطيـة ونظريـة المناقشـة، والنظريـة الديمقراطيـة تسـعى إلى تجـاوز الليبيراليـة المتوحشـة وهـو بـذلك نمـوذج تواصـلي والديمقراطيـة تسـتند إلى القـانون وتتـيح المجـال للأفـراد في المجتمـع وتضـمن حقـوقهم، ومـن هنـا يتضـح لنـا أن الديمقراطيـة قانونيـة مـن أهدافها تحصين الحرية وكذلك النقاش والمشاركة في التشاور هذا كله في إطار المشاركة السياسية.

يـذكر هابرمـاس باسـتمرار بأنـه لا ديمقراطيـة دون اسـتماع للآخـر واعـتراف بـه والبحـث عـم لـه قيمـة كونيـة في التعبـير الـذاتي عـن ذوق وتفضـيل[2]، فالديمقراطيـة نقصـد بهـا سـيادة الشـعب حيـث يكـون الأفـراد إقـرارا بـالقوانين الـتي تحمـي حقـوقهم باسـم القـانون، فهابرمـاس يريـد تأسـيس ديمقراطيـة قائمـة علـى مبدأ الحوار.

إن النمـوذج الـذي اقترحـه هابرمـاس "الديمقراطيـة التشـاورية" هـو بمثابـة بـديل أو بـالأحرى تجـاوز لكـل مـن النظـامين "النمـوذج الليبـيرالي والنمـوذج الجمهـوري" بـالرغم أنـه يسـتمد منهمـا، ويمكـن اعتبـار أن هناك ثلاث نماذج لمعيارية الديمقراطية:

النمـوذج الليبـيرالي: يسـتخدم هابرمـاس هـذا النمـوذج لا يقصـد بـه الليبيراليـة الاقتصـادية (الحقـوق الفرديـة) وكـذلك اقتصـاد السـوق ومصـطلح الليبيراليـة عنـد هابرمـاس، يسـتند إلى أعمـال كـل مـن "زاولـز ودوركلـين"، أي مبـدأ المسـاواة واحـترام التعـدد في المجتمـع[3]، يتضـح أن النمـوذج الليبـيرالي يهـتم بصـفة عامـة بحقـوق الأفـراد ولا يهـتم بـالمجتمع أو الشـعب، حيـث نجـد أن الفـرد لـه مكانـة هامـة في النظـام الليبـيرالي، بحيـث تسـعى الليبيراليـة إلى حمايـة الأفـراد وترسـيخ الحقـوق واحـترام كرامـة الإنسـان، أمـا النمـوذج الجمهـوري،

---

[1] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 190.

[2] آلان تورين: نقد الحداثة، تر: أنور مغيث، المجلس الأعلى للثقافة، 1997م، ص 432.

[3] محمد الأشهب: الفلسفة والسياسة عند هابرماس، مرجع سابق، ص 76.

البديل الذي قدمه مخالف للعقد الإجتماعي ويؤكد على أخلاقيات المناقشة، كما يؤكد على أن المواطنة تقوم على حقوق عالمية للأفراد، أما النموذج الثالث والجماعيين يؤكد على إلغاء النظام الليبيرالي ويدافع عن الخصوصيات الجماعية، وإن نموذج الجماعيين يعطي أهمية كبيرة للجماعة في إنشاء الروح الوطنية.[1]

إن النظام الجمهوري يقوم على أن الشعب هو أساس في السلطة حيث أن مفهوم الدولة يلعب دورا أساسيا فيها، وكذلك مشاركة الأفراد في الحكم، من أجل حماية حقوقهم داخل الدولة، لكن هابرماس قدم بديل مخالف للنظام الجمهوري بالعقد الإجتماعي.

من الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية التشاورية هي سيادة الشعب والتواصل بين المواطنين، هذا كله في إطار الحوار والتواصل، إن علاقة بين المواطنين يخلق نوعا من النقاش وهو بدوره مبني على الحجج، والهدف من الديمقراطية التشاورية حسب هابرماس هو خلق مجتمع حر تسود فيه الحرية، وتكمن قوة الدولة الديمقراطية الدستورية في خلق نوع من التضامن الإجتماعي بين المواطنين، وإن المبدأ الديمقراطي يقوم على مبدأ الحوار والنقاش.[2] من خلال القول يتضح أن الديمقراطية التشاورية هي نظام يمكّن المواطنين من صنع القرارات السياسية، وهذا عن طريق التفاعل مع السلطات حيث نجد أنها تبني مفهوما جوهريا حيث يأخذ بعين الاعتبار دور المواطنين المشاركة في صنع القرار السياسي، والغاية من الديمقراطية التشاورية هو تأسيس ديمقراطية مبنية على الجماعة.

"نعتقد أن مسار المجتمع لا يتحدد بالعوامل الاقتصادية فقط، وإنما بالعوامل السياسية التي أصبحت حاسمة في إدارة شؤون المجتمع الحديث، أي أن السياسة لم تعتمد اعتمادا كبيرا على الاقتصاد"[3] فالنظام السياسي في التصور الجمهوري قائم على التواصل بين الأفراد، بحيث يسعى الأفراد إلى خلق نوع من التفاهم، وهذا كله في إطار الحرية السياسية.

إن المجتمع الذي يدعو إليه هابرماس هو مجتمع في حركة مستمرة من الخاص إلى الكوني، والذي تلعب فيه الحياة السياسية دور التثقيف، وهنا تكون العلاقة بين الذات والآخر من خلال

---

[1] محمد الأشهب: الفلسفة والسياسة عند هابرماس، مرجع سابق، ص ص77، 78.

[2] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص ص314، 315.

[3] رياس خضير البياني: النظرية الإجتماعية جذورها التاريخية وروادها، الجامعة الوطنية، ليبيا، ط1، 2002م، ص 243.

الاستماع، والتشاور يهتم بالصالح العام، كما نجد هابرماس يؤكد على الحق وهو الصراع الإجتماعي، حيث لا يوجد صراع اجتماعي بدون مرجعية ثقافية، أي فاعلية تاريخية مشتركة[1] يتبين أن هابرماس يؤكد على وجود علاقة بين الذوات أي بين الذات والآخر، ويكون في إطار الإعتراف المتبادل بينهما والإنتقال من العام إلى الخاص أو الكوني، كما حاول هابرماس أن يؤسس مجتمعا ديمقراطيا قانونيا ومحافظا على الحقوق.

"فالديمقراطية تجمع بين ثلاث أبعاد أساسية هي:

1/ الإجماع هو الإستناد إلى توجهات ثقافية مشتركة.

2/ الصراع الذي يقيم الخصومة في المواجهة بعضهم البعض.

3/ الحل الوسط الذي يجمع بين هذا الصراع واحترام الإطار الاجتماعي ويضع حدود لهذا الصراع.[2]

يتبين أن الديمقراطية التشاورية تقودنا إلى مفهوم جديد للمجتمع بحيث لا تكون الدولة هي أساس في الحياة السياسية، بل التجاوز والنقاش بين الأفراد وبناء الرأي العام وتشكيل الإرادة العمومية بين المواطنين.

مميزات الديمقراطية التشاورية:

يتضح أن هناك عدة مميزات للديمقراطية التشاورية تتجلى فيما يلي:

ـ الديمقراطية التشاورية تمثل تجمع مستقل ومتطور، أي مشاركة الأفراد في عملية الحوار.

ـ إن المجتمع المدني يمثل الفضاء العام حيث يقدم فيها الأفراد كافة آرائهم وكذلك تحرير من الأنظمة التقنية، فالديمقراطية تتيح للأفراد ضمان حقوقهم.[3]

---

[1] ألان تورين: نقد الحداثة، مرجع سابق، ص ص432، 433.

[2] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص ص209، 210.

[3] علي المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 317.

ـ إن الديمقراطية التشاورية هي ديمقراطية جمهورية، وإن استعمار العالم المعيش أو فصل النظام عن العالم المعيش، يمكن التغلب عليه بالقانون، وأن الشرعية القانونية ليست وسيلة من أجل هيمنته بل وسيلة لتحقيق التفاهم.

ـ اعتقاد البعض أن مشروع هابرماس لا يمكن تطبيقه، فالواقع أن المجتمع السياسي اليوم، متمثلا في نظرية هابرماس، فالمواطنون يشاركون في الخطب السياسية بكل أشكالها.[1]

يتضح أن الديمقراطية التشاورية تعتبر أن الأفراد أحرارا بمعنى أن هذه الحقوق حقوق طبيعية وهي ميزة كل ذات، وأن الأفراد في المجتمع متشاورين فلا يوجد مراتب ولا درجات بين الناس والديمقراطية هي بمثابة المجال الذي يشارك فيه الأفراد عملية الحوار، ومن خلاله يتم الإعتراف بالحقوق.

"فالحفاظ على نظام ديمقراطي غير ممكن إلا إذا أعملته فئات اجتماعية لديها مصلحة وعبر مجتمع مدني منظم بما فيه الكفاية، وديناميكي لإدماج مبدأ التكوين التداولي للإرادة الجمعية حسب القواعد الثابتة"[2]، يتضح أن هابرماس أراد خلق نظام ديمقراطي وتحقيق الحرية للأفراد وضمان حقوقهم داخل المجتمع، فالديمقراطية لا تعبر عن إرادة شخص فقط بل عن إرادة جماعية.

[1] المرجع السابق، ص 318.

[2] ستيفان هابر: هابرماس والسوسيولوجيا، تر: محمد جديدي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م، ص 141.

المبحث الرابع: ما بعد الدولة الأمة

المطلب الأول: المواطنة القومية*

يلاحظ هابرماس أن الدولة الليبيرالية تعيش راهنة أزمة منذ نشأتها في الإنفصال القائم بين مكونها القومي، (كما هي دولة وأمة) ومكونها السياسي والإجرائي مبدأ المواطنة الشاملة، فالدولة الحديثة نشأت في البداية كدولة إدارية جالبة لضرائب، ثم أصبحت دولة إقليمية ذات سيادة قبل أن تتحول إلى شكل دولة قومية لتنتهي إلى نموذج دولة القانون الديمقراطية.[1]، يتضح أن هابرماس يؤكد على الوعي القومي حيث كان عاملا أساسيا في إنشاء وتكوين الديمقراطية، فيعتبر أن العامل الأساسي للدولة الديمقراطية هو ارتكازها على الهوية القومية، أي تأسيس تعاقد حرية المواطنين القائمة على العدل والمساواة، ويطرح هابرماس فكرة المواطنة الدستورية التي تنطلق من فكرة الطابع الكوني التي تتجاوز السياسة الوطنية.

إن تجاوز فكرة الأمة والدولة بلفظة الانطلاقة لمواطنة تنطلق من ثلاث عوامل رئيسية: أولا المواطنة لم تعد حكرا على الأمة، ثانيا التحديث الثقافي أو التعددية الثقافية، ثالثا المساواة بين المواطنة والجنسية، وبين هابرماس أن فكرة المواطنة الدستورية للإنسان ليس هو مواطن لدولته فقط بل هو مواطن عالمي.[2] فالمواطنة مفهوم شامل بالنسبة لفكرة التعددية الثقافية عالجها هابرماس من أجل تحقيق التوازن بين أفراد المجتمع.

فأبعاد المواطنة هي: البعد القانوني الذي يهدف إلى تنظيم أو توضيح علاقة الحاكم المحكومين، أي توازن بين مصالح الفرد والمجتمع، والبعد السياسي والمتمثل في الحقوق والواجبات التي تساعد المواطن في اكتساب علاقة مع غيره على أساس المساواة والحرية والعدل، فالمواطنة تحقق نوع من التساوي بين

---

* ينتقل هابرماس بعد تحديد معالم نموذجه الديمقراطي، إلى بناء رؤية شاملة حول المواطنة وهو يرى أن المواطنة بامتلاكها البعد النقاشي الذي نتيجه بيئة المجال العام وثورة الاتصالات والقانون الراعي للحقوق والمحدد لواجبات إمكانية تعميم هذا النموذج بصورة عالمية. (علي المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة، ص 375)

[1] عبد الله السيد ولد اباه: المواطنة في عصر ما بعد الدولة الوطنية، مفهوم المواطنة لدى هابرماس، مجلة التسامح.

[2] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص ص324، 325.

الأراد.، وهـي تقـوم علـى أربعـة مبـادئ هـي: "الحقـوق، الواجبـات، المشـاركة والهويـة، والحقـوق والواجبـات يشـكلان الحقـوق العالميـة للإنسـان، أمـا المشـاركة فتشـكل جـوهر المواطنـة الفعالـة، في حـين أن الهويـة تشـكل المبـدأ الأخـير ويـتم التعـرف عليـه عـبر العموميـة القيميـة، فيعتـبران الهويـة الانسـانية منطلقـا لـه، واحـترام الحقـوق للإنسـان هـي القـيم العالميـة.[1] يتضـح أن المواطنـة تتأسـس علـى عناصـر أساسـية وجوهريـة، فـالأفراد يسـعون إلى تحقيـق الحقـوق والواجبـات في المجتمـع، أمـا بالنسـبة للمشـاركة فهـي جوهريـة وذلـك مـن خلال مشاركة الأفراد، أما الهوية تتجدد من خلال تشكلات العمومية لحقوق الإنسان.

يقـول هابرمـاس "تحـدد الهويـة الجماعيـة انتمـاء الأفـراد إلى المجتمـع وكـذلك إقصـاءهم مـن هـذا الأخـير، لـذلك توجـد في هـذا الصـدد علاقـة تكامـل بـين هويـة الأنـا والهويـة الجماعيـة، باعتبـار أن وحـدة الشـخص تتشـكل عـبر العلاقـة بأشـخاص آخـرين في نفـس المجموعـة"[2]، فالهويـة تتضـح مـن خـلال حاجيـات الأفـراد داخـل المجتمـع وبالنسـبة للعلاقـة بـين الأشـخاص يحـدث نـوع مـن التكامـل، فالهويـة تظهـر من خلال العلاقة بين الأشخاص داخل مجتمعهم.

فالمواطنـة العالميـة عنـد هابرمـاس تسـتند إلى ميثـاق الأمـم المتحـدة* الـتي بـدورها تحـافظ علـى حقـوق الإنسـان، وكـذلك حمايـة وفـتح المجـال أمـا أفـراد المجتمـع لضـمان مختلـف حقـوقهم، يقـول هابرمـاس: "... علـى هـذا الأسـاس فسياسـة حقـوق الإنسـان الموجهـة مـن طـرف الأمانـة العامـة لهيئـة الأمـم المتحـدة ومجلـس الأمـن ومحكمـة العـدل الدوليـة "بلاهـاي" الـتي يجـب مـن الآن أن تحـول إلى محكمـة جنائيـة حقيقيـة، كـل هـذه المؤسسـات الجديـدة سـتقلص مـن سياسـة الـدول الفرديـة فالعديـد مـن المشـاكل وإن كانـت علـى الأقـل تطرح في جدول أعمال هيأة الأمم المتحدة"[3]

---

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، مرجع سابق، ص 328.

[2] يورغن هابرماس: بعد ماركس، مصدر سابق، ص 38.

* منظمـة دوليـة نشـأت عقـب الحـرب العالميـة الثانيـة، لتحـل محـل عصـبية الأمـم في حفـظ السـلم وحـل المنازعـات الدوليـة وتحقيـق التعـاون الإقتصـادي والإجتمـاعي، يضـع إتحـاد الجمهوريـات السـوفياتية الاشـتراكية، وبريطانيـا العظمـى والصـين والـوم أ مقترحـات سـياق الأمـم المتحـدة في مؤتمر "دومبارتن أوكس" (علي مولا: الموسوعة العربية الميسرة، ج1، دار النموذجية، ط1، 2010م، ص 431)

[3] محمد الأشهب: الفلسفة السياسية عند هابرماس، مرجع سابق، ص 120.

يعـني أن المواطنـة العالميـة تسـعى إلى تحقيـق حقـوق الإنسـان واعتبـار الأفـراد يعيشـون في هـذا العـالم في تسـاوي مـع الآخـرين وضـمان حقـوقهم، وكـذا حفـظ كرامـة الإنسـان وعلـى الحكومـات العالميـة أن تضمن حقوقه وحمايته من أي خطر يعترضه.

ويؤكـد هابرمـاس علـى أربعـة مواقـف لإمكانيـة بنـاء الاتحـاد الأوربي بالإضـافة إلى انتمـاء الديمقراطيـة ما بعد الدولة هي:

أ/ **المشككون الأوربة:** أنصار يعتمدون على عملة واحدة.

ب/ **أنصار الأوربة:** أنصار يعتمدون على الأورو كعملة بناء السوق.

ج/ **الفيدراليون:** بمعنى استبدال معاهدات دولية إلى دستور سياسي.

د/ **الكوسـمويوليتون:** اعتبـار أن الـدول الأوربيـة بدايـة نظـام قـائم علـى معاهـدات دوليـة، وضـع سياسـة داخليـة علـى مسـتوى كـوني.[1] يـرى هابرمـاس أن مشـروع الاتحـاد الأوربي يواجـه مشـاكل، منهـا الشـروط الإقتصـادية الـتي عـبرت عـن طريـق العولمـة والتعـدد الثقـافي داخـل المجتمعـات الأوربيـة، فنجـد أن هابرمـاس يؤكد على احترام الثقافات الأخرى.

"إن هابرمـاس يعـالج مسـألة الهويـة الوطنيـة أو فكـرة المواطنـة مـن زاويـة أوربيـة ذات علاقـة أساسـية مـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أي كمـواطن "غـربي" لـه علاقـة مـع أمريكـا ولـه علاقـة مـع العـرب".[2] مـن هـذا يتبـين أن هابرمـاس يؤكـد علـى الـدول الأوربيـة الانفتـاح علـى المجتمعـات الأخـرى والانفتـاح علـى الديانات.

إن هابرمـاس اهـتم بشـكل كبـير بفكـرة كـانط، وبمشـروعه "السـلام الـدائم" حيـث أضـاف إلى مشـروعه فكـرة المواطنـة العالميـة، بالإضـافة إلى قـانون الدولـة وقـانون الشـعب، مـن هنـا يتبـين العلاقـة بـين الديمقراطيـة لضـمان حقـوق الإنسـان والقـانون الهـدف منـه هـو تأسـيس مجتمـع كـوني، انتقـال مـن العـام إلى الخـاص، مـن شـكل الخـاص إلى شـكل كـوني، حيـث يعتـبر هابرمـاس أن الهـدف مـن مشـروع السـلام الـدائم

[1] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص 138.

[2] نعيمة الرياحي: الثورات العربية والاستراتيجيات السياسية الراهنة، دار نقوش عربية، تونس، ط1، 2013م، ص 83.

هـو تحقيـق دولـة الكوسموبوليتيـة* أو مجتمـع كـوني عـالمي باعتبـار أن الأفـراد يخضـعون لفكـرة الكونيـة، وإن نقـل العـالم مـن القـانون الـدولي الخـاص إلى القـانون الكلـي الكـوني والعـالمي، فالسـلم لـدى كـانط لـن تكـون مجـرد شـعار يرمـز إلى لهـو المقهـى أو صـمت المقـبرة، إنمـا هـي إمكـان بشـري لمجتمـع مـدني قـائم علـى دولـة الحـق الكسموسياسـي وعلـى إمكـان تهـذيب مجتمـع مـدني قـائم علـى سياسـة المواطنـة الكونيـة.[1] فكـانط يسـعى إلى إقامـة السـلام الـدائم بـين الشـعوب، أي احـترام كرامـة الإنسـان وتأسـيس مجتمـع كـدني يسـعى إلى تطبيق نظام عالمي أو القانون العالمي.

إن المشـكل الأكـبر بالنسـبة للنـوع البشـري، والـذي أرغمـت الطبيعـة الإنسـان علـى حلـه هـو التوصـل إلى مجتمـع مـدني يحكمـه الحـق علـى نحـو كـوني.[2] فهابرمـاس أخـذ فكـرة الكونيـة مـن كـانط، الـذي أراد من أساسها تأسيس مجتمع كوني عالمي واعتبار أن الفرد هو الدولة الذي ينتمي إليها.

أثـارت إشـكالية التعدديـة الثقافيـة ** وتنـوع الثقافـات، حيـث نجـد أن العديـد مـن المفكـرين والبـاحثين في مختلـف الميـادين، وقـد انتشـر هـذا المفهـوم في السياسـة وعلـم الاجتمـاع وغيرهـا، فمفهـوم التعدديـة الثقافيـة في علـم السياسـة يحيـل إلى التنـوع في المجـال الجغـرافي، ففـي المرحلـة التقليديـة الليبيراليـة والجمهوريـة ينطلقـون مـن فكـرة التسـاوي بـين النـاس وأن المواطنـة لا يمكـن أن تسـتمر إلا في إطـار الاعـتراف بالآخر والتبادل بين الثقافات.

---

* يتكـون مصـطلح الكوسموبوليتيـة مـن اللفظـين اللاتينيـين، كوسمـو cosmous الـذي يعـني كـوني، وبـوليتيس polites الـذي يعـني المدنيـة، ومنـه يـربط المصـطلح في المسـتوى اللغـوي بـين تصـورات متناقضـة فيمـا بينهـا مثـل المحلـي والعـالمي الخصوصـي والكـوني، ويشـير في معانـه السياسـي إلى إمكانيـة القيـام بممارسـات سياسـية تتجـاوز ارتبـاط المواطنـة بالإطـار الـوطني، وهـو بـذلك يـربط مفهـوم المواطنـة العالميـة. (ينظـر: عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، المرجع نفسه، ص 171).

[1] أم الزين بن شيخة: المسكيني كانط راهنا، مرجع سابق، ص 194.

[2] إيمانويـل كـانط: فكـرة عـن تـاريخ كـوني مـن زاويـة نظـر المواطنـة العالميـة، تـر: محمـد منـادي إدريسـي، مؤسسـة مؤمنـون بـلا حـدود للدراسـات والأبحاث، الرباط، مقالة الجدال، 1784ن، ص 7.

** هـي منظومـة فكريـة ونظريـة للتعامـل مـع المجتمعـات غـير المتجانسـة، تبنتهـا دول وتيـارات سياسـية فكريـة للتعامـل مـع واقـع وجـود أقليـات لغويـة قوميـة وعرقيـة دينيـة في المجتمـع، ومنظومـة أكاديميـة يسـتعملها علمـاء علـم الإجتمـاع والسياسـة والفلسـفة السياسـية. (ينظـر مهنـد مصطفى: أوديسا التعددية الثقافية، سبر السياسات الدولية الجديدة، كتاب دراسات، 2012م، ص 144

يقـول هابرمـاس: "... إن المناقشـة الأخـيرة المتمحـورة حـول التعدديـة الثقافيـة أدت بالفعـل إلى مراجعـة الأنمـوذج الكلاسـيكي للمواطنـة والـذي يسـعى إلى تعريفهـا انطلاقـا مـن نظريـة مجـردة للفـوارق الاتنـو ــ ثقافيـة"[1]، يتبـين أن مفهـوم التعدديـة الثقافيـة يشـير بدرجـة كبـيرة إلى خلـق مجتمـع تعـددي متنـوع في تكويناتـه الثقافيـة والاجتماعيـة، كمـا أن نظريـة التعـدد الثقـافي تحقـق نـوع مـن التشـاور بـين الأفـراد وكـذلك خلـق تـوازن بـين الثقافـات والاعـتراف المتبـادل لكـل المـواطنين في ثقافـة سياسـية واحـدة بـين الأفـراد، فالمواطنـة هـي عبـارة عـن وضـع يـترجم في شـكل حـدود مدنيـة مـع ذلـك فإنـه ينبغـي أن يغيـب عـن ناظرنـا، فـإن المـواطنين هـم أيضـا أشـخاص لهـم هويـات فرديـة نمـت وترعرعـت وسـط تقاليـد معينـة، وفي أوسـاط ثقافيـة نوعيـة[2]، يتضـح مـن قـول هابرمـاس أنـه يؤكـد علـى مفهـوم المواطنـة متعـددة الثقافـات وكـذلك تطـوير الحقوق المدنية.

هنـاك جـدل فلسـفي بـين المـذهبين "مـذهب الجماعـاتي والمهـب الليبـيرالي"، حـول هـذه القضـية وكيفيـة يعامـل الدولـة مـع مختلـف التصـورات الثقافيـة متعـددة، وكـذلك طريقـة تعامـل الجماعـات الثقافيـة متنوعة داخل المجتمع الديمقراطي

أ/ المـذهب الليبيرالـي: يـرى أن الأفـراد لهـم حقـوق فرديـة، وعلـى لم تكـن هنـاك رغبـة للأفـراد في المحافظـة علـى ثقافـة مـا، فإنـه لا يجـب علـى الـدول الديمقراطيـة لا تفـرض ولا تمنـع مـن تعـديل أو فـرض المحافظـة علـى الثقافـة وكمـا تقـرر رفضـها للمـذهب الجماعـاتي، ويـرى المـذهب الليبـيرالي أن الثقافـة هـي مثـل الـدين، أو أن الأفـراد لهـم الحريـة في ممارسـتها في حيـاتهم الخاصـة[3]، مـن خـلال القـول يتبـين أن الدولـة تسـعى إلى تحقيـق المسـاواة بـين الأفـراد، حيـث نجـد أن المفكـرين السياسـيين المنظـرين للتعدديـة الثقافيـة في الفكـر الليبـيرالي منقسـمين إلى فـرعين، اتجـاه يؤكـد علـى المسـاواة في الحقـوق بـين المـواطنين واتجـاه يؤكـد علـى وجـود اخـتلاف بين الأفراد داخل المجتمع، من خلال إرساء العدالة والمساواة وحقوق المواطنة.

---

[1] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص 44.

[2] المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[3] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص 162، 163.

"لقـد حـاول بعـض الليبيراليـين والجمهـوريين في السـنوات الأخـيرة رد الإعتبـار وبطريقـة مميـزة، لقيمـة الإنتمـاء الثقـافي محـاولين وبالاعتمـاد علـى مبـادئ مثـل الأمـة والشـعب، وإن يظهـر فـإن الثقافـة يمكـن أن تأخـذ كـل أهميتهـا انطلاقـا مـن الحريـة الفرديـة[1]، فالليبيراليـة والجمهوريـة أعطـت أهميـة كبـيرة لفكـرة التعـدد الثقافي، وأن ضمان الحقوق للأفراد الفردية والجماعية في نفس الوقت.

ب/ المـذهب الجماعـاتي: يـرى أن المـذهب الليبـيرالي لا يتصـور بعـض الشـروط الثقافيـة، مثـل إحيـاء اللغـة وثقافـة خصوصـية لا يمكـن أن تكـون ضـرورية في الممارسـة لهـذا الحـق الفـردي، هـذه الشـروط يجـب أن تكـون محميـة مـن الدولـة، وإن الجماعـاتيون يؤكـدون علـى مسـألة التعدديـة الثقافيـة، واعتبـار الدولـة فقـط الحـق، بـل تشـجيع عناصـر أخـرى (تمويـل مؤسسـات ثقافيـة) فهابرمـاس يؤيـد المـذهب الليبـيرالي اتجـاه الدولـة ومختلـف الثقافـات وأشـكال الحيـاة الموجـودة في المجتمـع، وإن هابرمـاس يركـز في اسـتخدام التعدديـة الثقافيـة وإعداديـة العـوالم المعيشـة، وهـو يتفـق مـع الجماعـاتي علـى ضـرورة الاعـتراف بالتعدديـة وضـرورة الحمايـة لكرامـة الإنسـان[2]، يتضـح أن التعدديـة الثقافيـة تسـعى إلى تحقيـق نظـام عـالمي، وأن هابرمـاس يطـرح فكـرة التعدديـة الثقافيـة ومكونـات العـالم المعـيش، تسـعى إلى تحقيـق العالميـة وهـذا هـو مشـروع هابرمـاس مـن أجـل إرسـاء المبـدأ الكـوني كمـا تؤكـد علـى فكـرة الاعـتراف بالتعدديـة هـذا كلـه مـن أجـل حمايـة حقـوق وكرامـة الإنسـان وأن الفـرد يسـتمد أفكـاره مـن المجتمـع يكـون هـذا في إطـار متبـاين داخـل المجتمـع وهابرمـاس يسـتند إلى فكـرة الإقنـاع مـن خـلال التعدديـة الثقافيـة يسـتند إلى الإقنـاع داخـل المجتمعـات الـتي تسـودها الديمقراطية.

فالوطنيـة الدسـتورية الـتي يـدعو لهـا هابرمـاس هـي الـتي تتجـاوز وتلغـي فكـرة القوميـة وتتجـه نحـو الكونيـة، وتأسـيس دولـة عالميـة بالإضـافة إلى الـدفاع عـن القـيم الليبيراليـة والديمقراطيـة الليبيراليـة، وارتبـاط الوطنيـة الدسـتورية بالفضـاء العـام أي أنهـا تتحقـق داخـل المجـال العـام، بحيـث تجعـل المـواطنين يمارسـوا مختلـف نقاشـاتهم، أي أنهـا تسـتند إلى النظريـة التواصـلية مـن خـلال تواصـل الأشـخاص وتقـديم الحجـج اللازمـة مـن أجـل الوصـول إلى التفـاهم والاتفـاق بـين الأفـراد، فهـي علاقـة تحقـق وحـدة داخـل المجتمـع وضـمان

[1] يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، مصدر سابق، ص 42.

[2] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص ص 167، 168.

الإستقرار فيه، والديمقراطية تسعى إلى تحقيق التعاقد بين الأفراد على أساس الحرية فالمواطنة الدستورية الكونية تدعو وتسعى إلى تحقيق فكرة كونية.

"بالنسبة لنا في الجمهورية الفدرالية، تعني الوطنية الدستورية، من بين معان أخرى والظفر بحقيقة حاجتنا إلى القضاء على الفاشية إلى الأبد والإقامة نظام سياسي عادل، وإرساء ذلك النظام في ثقافة سياسية ليبيرالية إلى حد بعيد"[1]، بعد انهيار النازية يدعو إلى الوطنية الدستورية وهي فكرة تسعى إلى تحقيق الثقافة السياسية وإرساء أخلاقيات المناقشة قائمة على تقديم الحجج.

تقتضي الوطنية الدستورية كما يتصورها هابرماس من المواطنين التماهي مع مبادئ مجردة قانونية أو دستورية ذات صدى كوني مثل: العدالة، الديمقراطية وحقوق الإنسان، وليس وفق عناصر عضوية كتلك التي تقوم عليها الأمم، بهذا اتبعت هذه الوطنية عن كل انتماء للجماعة القومية.[2] يتضح من القول أن هابرماس أكد على الإنسجام بين الأفراد مع المبدئ القانونية ذات الأهداف الكونية، ويعتبر أن هذه المبادئ هي أساس في الدولة الديمقراطية الحديثة، فأفكار الأساسية التي يركز عليها الوطنية الدستورية والثقافة السياسية الديمقراطية، ويعتقد أن القومية تعيق بشكل كبير كل من الإقتصاد العالمي والإصلاح الديمقراطي، وإن الحفاظ على اختلافات بين الثقافات في المجتمع ليس للحفاظ على الهوية الوطنية كأساس للحفاظ على التكامل داخل الدولة، أي التخلي عن القومية.

"من المبادئ التي تدعو إليها الوطنية الدستورية لا تفرض على المواطنين بالإكراه، بل يتم قبولها كنتيجة من الممارسات التشاورية أو التداولية من هنا تأتي نظرية هابرماس في الديمقراطية الإجرائية procedurale أو التداولية deliberative [3] من هذا يتضح أن هابرماس يدعو إلى فلسفة نقدية تواصلية تقوم على تفعيل العلاقات بين الأفراد من أجل تحقيق الاتفاق داخل الفضاء الإجتماعي، والهدف من فلسفة هابرماس التواصلية هو الوصول إلى الشمولية أي علاقة بين الفرد والمجتمع.

---

[1] جيمس جوردن فينليسون: يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا ، مرجع سابق، ص 133.

[2] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، مرجع سابق، ص 149.

[3] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس ، المرجع السابق، ص 149.

المبحث الخامس: التفكير مع هابرماس ضد هابرماس:

يعتبر مشروع هابرماس في نظرية الفعل التواصلي وتأسيس الديمقراطية التشاورية من معالم الفكر العربي المعاصر، إلا أنه قد وجهت له عدّة انتقادات من بينها:

نجد أن هابرماس لم يثبت أولا ولا يستطيع أن يثبت أولوية فعل التواصل على الفعل الاستراتيجي، وأما بالنسبة "لديفيد راسمس" فربطه بالانتقاد الأول أي أولوية الفعل التواصلي على الفعل الاستراتيجي إذ يقول: "بإمكان المرء من نظرة سريعة إلى بعض الإنتقادات المهمة لأعمال هابرماس أن يخلص إلى أطروحته حول التحرر والإنعتاق لم يثبت ليس هذا فقط، بل إن محاولة إقامة النقد على المعرفة بين النسق والحياة اليومية، لذلك يظهر أن مشروع هابرماس بمجمله يعاني من تناقض في الأهداف، إذا أخذنا مشروعه الأكبر بأوضح معانيه فسيظهر أن محاولة تأمين أولوية التواصل في فلسفة اللغة، تلك التفرقة التي يقيمها بين النسق والحياة اليومية، ذلك أن تلك التفرقة تقيد مجالات أساسية من التجربة الإجتماعية للبشر"[1]، يتبين أن هابرماس أعطى أولوية للفعل التواصلي على الفعل الإستراتيجي، من خلال اعتبار أن فعل التواصل يحقق نوع من الإجتماع وخلق نوع من التواصل بين الأفراد من أجل الوصول إلى التفاهم والإجماع.

كما نجد فيلسوف الإختلاف "فرانسو ليوطار" خصص كتابين لنقد هذه النظرية وهما "التنازع" و"حقبة ما بعد الحداثة" ففي هذا الكتاب الأخير ليوطار بقوله بأن "الإختلاف أقدر على الابتكار من الإجماع"، في إطار تأكيده على الإختلاف يتخذ ليوطار من فكرة الإبداع مبررا لأن الإجماع يقتل الإبداع وقد وصل بع الحد إلى اعتبار الإجماع إرهابا عقلانيا.[2]

ويعتقد "أكسل هونيث" أحد أبرز تلامذة "هابرماس" أن الصورية التي يتم التبشير بها من طرف "آبل وهابرماس" وهمية، لأن التذرع بافتراضات معيارية سينتج منها مبدأ الكونية، يعرض أخلاقيات المناقشة في الحقيقة لتصور جد ضيق للعدالة يتجلى في اختياره للنموذج الغربي كنموذج شمولي وأعلى (بوصفه حاليا الممثل الأسمى للعقل البشري)، ويتابع هونيث شكه في اعتقاد هابرماس

---

[1] إيان كريب: النظرية الإجتماعية من باسوتر إلى هابرماس، مرجع سابق، ص ص 318، 319.

[2] محمد الأشهب: الفلسفة والسياسة عند هابرماس، مرجع سابق، ص ص 40، 41.

يتحقق فرضية المساواة بين المتكلمين عبر اللغة زاعما بأن الشخص يحقق استقلالية عبر التواصل اللغوي النموذجي.[1]

يمكن القول بأن مشروع هونيث الفلسفي قائم على براديغم الاعتراف يهدف إلى تأسيس نظرية معيارية للمجتمع بغرض إعادة تعيين أو تحديد نظرية نقدية اولى وعلى هذا الأساس قام في كتابه صراع من أجل الاعتراف بإعادة بناء تجربة اجتماعية انطلاقا من أشكال الاعتراف التذاوتي والتي يعتبرها هونيث مؤسسة للهوية حتى تحقق الذات وجودها داخل نسيج العلاقات الاجتماعية والانسانية ودور الثقافة علما ان هونيث قد أشاد بأهمية ما يسمى بالفعل التواصلي الذي استطاع من خلاله هابرماس تقديم مقاربة جديدة لإعادة اكتشاف أهمية البعد الاجتماعي، ومن ثمة إعادة تأسيس نظرية نقدية. غير أن هونيث قد بقى متحفظا من المقاربة الهابرماسية في مسائل كثيرة أهمها:

حصر هابرماس الحياة الاجتماعية وأشكال التواصل المختلفة في البعد اللغوي، غير أن هذا التمركز حول اللغة قد يحجب عنا حقيقة التفاعلات الموجودة في المجتمع ويؤدي هذا إلى عدم القدرة على إدراك التجارب الاجتماعية والأخلاقية المرتبطة بأشكال الظلم والاحتقار وعدم الاعتراف الذي قد يتعرض له الأفراد والجماعات، لذلك حاول هونيث إعادة إدماج البنيوي لأشكال الصراعات الاجتماعية وأنماط تجارب أخلاقية معاشة ضمن نموذج معياري للاعتراف المتبادل الذي استلهمه من فلسفة هيجل[2].

إن النظام الذي يقترحه هابرماس بصفة قصرية ونوع من التشاور المسبق قادر على دمج وتوحيد وخلق الهوية الواحدة والمسكوت هنا معه مع هابرماس، هو أن الإجماع السياسي الناتج تصوريا يعد النزاعات السياسية يجب أن ينتصر النموذج السياسي معين وأخلاقيات معينة وكل القيم والمعايير إنما تنتج على أنها اتفاقية وإجماعية عامة وبذلك تنفي الاختلافات وتتجه إلى أنواع التوتاليتارية العقلانية وذلك ما يقتل طبيعة الديمقراطية نفسها، فعلى التواصل أن يبقى رهين هذا التصور يجب الاعتراف

[1] أبو النور حمدي أبو النور حسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، مرجع سابق، ص 271.

[2] كمال بومنير: ايتيقا الاعتراف عند أكسل هونيث، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، مجلة الممارسات الفلسفية والفنية والاجتماعية، العدد 1، 2003، ص ص33، 34.

بـالآخر ولا يقـاس النظـام الـديمقراطي لمجتمـع مـا بالشـكل الـذي يلفـه مـن المشـاركة والتوافـق بـل بنوعيـة الاختلافـات الـتي نعـترف بهـا ونتـدبر بهـا، وبـذلك الديمقراطيـة ذات طـابع اخـتلافي لا طابعـا شموليـا يريـد إذابـة كـل اختلافـات وإعـادة صـبها في قالـب اتفـاقي عـلاوة علـى أن المجتمـع يجـب أن تكـون لـه بعـض الاجـراءات للتعامـل مـع الصـراعات الـتي لا يمكـن حلهـا بالنقـاش وحـتى لـو كانـت جميـع الأطـراف ملتزمـة بجـدل عقـلاني في ديمقراطيـات علـى عكـس ديمقراطيـة هابرمـاس المثاليـة، فـإن تلـك الأنـواع مـن الصـراعات التي لها أهمية من الجانب المعياري والعملي على حد سواء[1]

بـالرغم مـن اسـتفادة "أكسـل هونيـث" مـن أسـتاذه إلا أنـه وجـه لـه عـدّة انتقـادات، فـيرى هونيـث أن النمـوذج التواصـلي عـاجز عـن تفسـير التجربـة المعاشـة للأفـراد، فيعتـبر أن اللغـة لا تعـبّر عـن الكـل وإنمـا تعـبر عـن جانـب مـن جوانـب التفاعـل الإجتمـاعي، وكمـا أن هابرمـاس تجـاوز فكـرة الصـراع ودوره في التشـكلات الإجتماعيـة، كمـا نجـد أن هونيـث تجـاوز فكـرة التواصـل ونـادى بفكـرة جديـدة ومغـايرة للاعتراف المتبادل.

أمّـا فيمـا يخـص مكانـة الدولـة الأمـة داخـل النظـام الـديمقراطي الكوسمولـوتي فـإن هابرمـاس يـرى كـذلك أنهـا تعتـبر عائقـا يجـب تجـاوزه أمـام قيـام واتحـاد كوسموبـوليتي يحـل محـل الدّولـة الوطنيـة، غـير أنـه في هـذا الإطـار أيضـا يمكـن التأكيـد أن هـذا الحكـم مبـالغ فيـه، وإن قيـام مثـل هـذا النظـام لا يتعـارض وبقـاء الدولـة بـل مسـاهمتها الفعالـة في إرسـائه، ذلـك أن الدولـة الأمـة هـي إلى يومنـا هـذا الإطـار الحقيقـي للتشـريع الـذاتي الـديمقراطي للمـواطنين، فهـي بهـذا المعـنى لا تتعـارض مـع الإتحـاد الـديمقراطي الكوسمولـوتي، بـل يمكـن اعتبـار هـذا الإتحـاد مرحلـة أعلـى في مسـار الإتحـاد الـذاتي للمـواطنين، وهـي مرحلـة تكمـل وتوسـع التحديـد الـذاتي الـديمقراطي إلى مجـالات أخـرى (الإنتقـال مـن المشـاركة في القضـايا ذات الطـابع المحلـي إلى المشـاكل ذات الطابع الإنساني الكوني.[2]

[1] علي عبود المحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التوصل، مرجع سابق، ص ص364، 365.

[2] عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة، مرجع سابق، ص ص 193، 194.

أهم نتائج الفصل الثاني:

بعد عرضنا لمحتوى هذا الفصل توصلنا لمجموعة نتائج يمكننا أن نحددها في النقاط التالية:

إن الفكـرة المحوريـة لمشـروعه الديمقراطيـة التشـاورية هـي تأسـيس ديمقراطيـة علـى أسـاس جماعـة متواصـلة خاليـة مـن أي هيمنـة وأفضـل الـذي يقـدم الحجـج، فالتشـاور يمـنح لكـل عضـو في الجماعـة الحـق في الكـلام في القضـايا السياسـية، هـذا كلـه في إطـار النقـاش وتشـكيل الـرأي العـام والإرادة السياسـية العامـة للمـواطنين في المجتمـع الـديمقراطي الـذي يلعـب فيهـا التشـاور دورا هامـا ومركزيـا، أي تأسـيس مجتمـع حـر في إطار النقاش والتشاور.

إن نمـوذج الديمقراطيـة التشـاورية يقـوم علـى تجـاوز الليبيراليـة المتوحشـة، فالتضـامن هـو أسـاس الإنـدماج الإجتمـاعي، أي أن أفـراد المجتمـع متسـاوون أمـام القـانون، وإن الديمقراطيـة التشـاورية تعتـبر أن الفضـاء العمـومي يعـد فضـاء للمناقشـة، بحيـث توصـل هابرمـاس أنـه يمكـن لصـورة الديمقراطيـة خـارج الفضـاء أو المجـال العـام، والاسـتناد إلى الديمقراطيـة التشـاورية لأخلاقيـات المناقشـة مـن خـلال الفضـاء العمـومي الذي لا يتم فيه النقاش والتداول بين المواطنين.

اعتبـار أن الديمقراطيـة هـي بمثابـة توسـيع لمجـال الفعـل التواصـلي بحيـث لا يمكـن انفصـال التشـاور عـن الفعـل التواصـلي، و إن الوطنيـة الدسـتورية هـي بمثابـة آليـة لتجـاوز الفكـرة القوميـة، بمعـنى تجـاوز مـا هـو عرقـي واسـتناد إلى الديمقراطيـة أي مشـاركة الأفـراد والمجتمـع لفكـرة التعدديـة الثقافيـة مـن منظـور ليبـيرالي وجمعاني.

إرسـاء نظـام كـوني أي انتقـال نظـام الدولـة إلى نظـام عـالمي كـوني، واعتبـار أن الأفـراد هـم الدولـة وفي نفس الوقت إلى نظام عالمي.

خـــاتمـــة

خاتمة

مـا يمكـن استخلاصـه هـو أن هابرمـاس يؤكـد أن العقـل الأداتي، عقـل مهـيمن بحيـث أنـه إذا فقـد دوره كجملـة فكريـة وتم تقليصـه إلى مجـرد أداة تحقيـق أهـداف معينـة، كمـا أصـبح أداة لتـوفير الوسـائل حيـث أصـبح العقـل ينظـر إلى الطبيعـة والواقـع مـن منظـور التماثـل، ولا يـتهم بالخصوصـية إنـه يحـاول تقنـين الواقـع إلى أجـزاء غـير مرتبطـة كمـا ينظـر إلى الإنسـان باعتبـاره جـزءا شـبه الأجـزاء الطبيعـة الماديـة، وهابرمـاس يقصـد وراء نقـده للعقـل الأداتي هـو هـدم معطيـات هـذا العقـل وذلـك مـن خـلال القضـاء علـى المركـزي الفلسـفي الوضـعي، وكـذلك تجـاوز العقـل الأداتي وطـره البـديل الـذي هـو العقـل التواصـلي، الـذي يعتـبره هابرمـاس المخـرج المهـيمن للعقـل الأداتي، أي التواصـل والتفاعـل بـين الأفـراد مـن أجـل الوصـول إلى التفـاهم وتحقيـق نوع من الإجماع.

كمـا أن هابرمـاس يـدعو إلى تأسـيس عقـل نقـدي اتصـالي في ظـل الرؤيـة الإجتماعيـة قائمـة علـى الـدعوة إلى تواصـل الأفـراد وحفاظـا علـى الخصوصـية فنجـد أن النمـوذج التواصـلي يجمـع بـين أخلاقيـات النقـاش والنظـام السياسـي، أي تحقيـق بيئـة فاعلـة للتواصـل السياسـي هـذا كلـه في إطـار مـا يعـرف بالفضـاء العام، والذي يقدم فيهما كافة الأفراد مختلفة الآراء الديمقراطية، تضمن حقوقه وكذلك تحقيق الحرية.

فالأسـاس الـذي تقـوم عليـه الديمقراطيـة التشـاورية هـي سـيادة الشـعب، أي التواصـل بـين المـواطنين في إطـار مـا يعـرف بـالحوار، أي تحقيـق علاقـة بـين الأفـراد والسـلطة، واعتبـارهم سـلطة تواصـلية وخلـق مجتمـع مـدني واسـتناد التواصـل إلى النمـوذج التشـاوري، وتأسـيس الديمقراطيـة علـى أسـس جماعيـة مثاليـة يكـون على رأس أولوياتها التواصل وارتفاع هابرماس من الديمقراطية إلى ما بعد الدولة والأمة.

ونجـد أن المخـرج الـذي يقترحـه هابرمـاس ملائـم جـدا للحـالات العربيـة، الـتي أدت بهـا الإختلافـات والتعدديـة المذهبيـة والعرقيـة إلى مسـارات بعيـدة كـل البعـد عـن الدولـة الديمقراطيـة، بمعـنى مواجهـة التحـديات الـتي تطرحهـا مسـألة ابنـاء الديمقراطيـة للدولـة مـا بعـد السـلطوية، والإخـتلاف لـن يكـون بإقامـة المجـالس التأسيسـية لصـياغة الدسـتور الـذي يطعـن في الكثـير مـن الحـالات العربيـة في شـرعيتها وقـدرتها علـى تحقيـق توافـق المجتمـع أفـرادا وجماعـات أن تتحلـى بـالقيم الديمقراطيـة، وقبـول الـرأي الآخـر والقـدرة علـى بلـورة المجتمـع الـذي يضـمن أفـراد المجتمـع العـيش، ومشـروع هابرمـاس يؤكـد أن مشـروع الحداثـة مشـروع لم يكتمـل بعد.

فنجـد أن هابرمـاس أراد تأسـيس فلسـفة عقلانيـة مـن كونهـا ممارسـة الـذات إلى ممارسـة المجتمـع مـن عقلانيـة الفـرد إلى عقلانيـة المجتمـع، أي العقلانيـة الـتي تتجلـى في الحيـاة اليوميـة للأفـراد عـبر مـا نطلـق عليـه الفعـل التواصـلي، حيـث يؤكـد أن العقلانيـة تسـعى أن تكـون فعـل المجتمـع مـن خـلال اللغـة بوصـفها أداة للتواصـل، أي باعتبـار اللغـة أداة فاعلـة في تحقيـق التفـاهم بـين الأفـراد داخـل المجتمـع، أي لا يمكنـه تأسـيس نمـط تواصـلي جديـد يعـبر عـن مجتمـع دون أن يبلـغ اللغـة أداة التواصـل أولى ذاتهـا وهـي اللغـة سـواء تعلـق الأمـر بالتواصل الذاتي أو بالتواصل البينذاتي.

بالإضـافة إلى تأكيـد تصـور النقـاش السياسـي مـن دون اسـتخدام العقـل وأن اسـتخدام العقـل يقتضي وجود حرية التفكير وحرية التعبير وأن يكون نقاشا أو حجاجا هذا كله ضمن فضاء عام.

فالنقـاش هـو أسـاس التواصـل والهـدف مـن التفـاهم هـو الوصـول إلى نـوع مـن الاتفـاق تـؤدي إلى التـذاوت المشـترك وإلى التفـاهم المتبـادل وإلى التقـارب في النظـرات والآراء وهـذه الأبعـاد مـن التـذاوت يقابلهـا ادعـاءات الصـلاحية تتمثـل في المعقوليـة والحقيقـة والدقـة والصـحة والـتي تسـتند عليهـا كـل شـكل من أشكال الاتفاق ومن ثم التفاهم هو العملية التي من خلالها يتوصل الفرد إلى نوع من الاتفاق

فالديمقراطيـة الـتي أشـار إليهـا لا تـدعو إلى الـدفاع عـن مصـالح الخاصـة إنمـا هـي الديمقراطيـة تعـبر عـن مصـالح الجماعـة العامـة للمجتمـع ككـل، وكـل فـرد مطالـب بالـدفاع عـن هـذه المصـالح العامـة وانفتـاح الآخر اعتمادا على التشاور والمناقشة.

فالفعـل التواصـلي هـو فعـل متطلـب المحاولـة لتقـديم إجمـاع ويكـون معـبرا داخـل الفضـاء العـام عـن ذاتـه وبـذلك يتحقـق التواصـل والتفـاهم وهـذا الأخـير لا يمكـن ان يتحقـق إلا بالاتفـاق المؤسـس علـى أسـاس عقلاني وهو بذلك يحقق اتصال في العلاقات الاجتماعية السليمة.

فتجـاوز فكـرة الدولـة الأمـة وتأسـيس المواطنـة العالميـة ينطلـق مـن فكـرة الطـابع الكـوني الـذي بـدوره يتجـاوز السياسـة الوطنيـة فأبعـاد المواطنـة والـتي تتمثـل في بعـديها القـانوني والسياسـي، إذا تسـعى إلى تحقيـق التساوي بين الأفراد.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ/ المصادر:

1. يورغن هابرماس: العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، دار الجمل كولونيا، ألمانيا، ط1، 2003م

2. يورغن هابرماس: القول الفلسفي للحداثة، تر: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995م

3. يورغن هابرماس: المعرفة والمصلحة، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، كولونيا، ط1، 2001

4. يورغن هابرماس: ايتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للنشر، ط1، 2010م

5. يورغن هابرماس: بعد ماركس، تر: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر، سوريا.

6. يورغن هابرماس: هايدجر والنازية (التأويل الفلسفي والالتزام السياسي)، تر: عز الدين الخطابي، الدار البيضاء، ط1، 2005

ب/ المراجع:

1. أبو النور حمدي أبو النور الحسن: يورغن هابرماس الأخلاق والتواصل، المكتبة الفلسفية، 2012

2. أم الزين شيحة المسكيني: كانط راهنا، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2016م

3. إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1994م

4. أنتوني عدتر: علم الاجتماع، تر: فايز الصباح، المنظمة العربية للنشر، بيروت، ط1، 2005م

5. أيان كريب: النظرية الإجتماعية من بارسوتر إلى هابرماس، تر: حسين فروم، المجلس الوطني للثقافة، الكويت

6. جاكلين روس: الفكر الأخلاقي المعاصر، تر: عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط1،

2001م

7. جان مارك فيري: فلسفة التواصل، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم، ط1، 2006م

8. جيمس جوردن فيليسون: يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، تر: أحمد محمد الروبي، مؤسسة الهنداوي، ط1، 2015م

9. خديجة زتيلي: الفلسفة السياسية المعاصرة قضايا وإشكالات، منشورات الاختلاف، ط1، 2014م

10. الدراجي زروخي: المذاهب الفلسفية الكبرى، دار الصبحي للطباعة والنشر، ط1، 2015م

11.

12. رث والآس ألسون وولف: النظرية المعاصرة في علم الاجتماع تمدد آفاق النظرية الكلاسيكية، دار مجد لاوي، 2012م

13. رشيد العلوي: الفضاء العمومي من هابرماس إلى فريزر، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، قسم العلوم الانسانية

14. رياس خضير البياني: النظرية الإجتماعية جذورها التاريخية وروادها، الجامعة الوطنية، ليبيا، ط1، 2002م

15. رياس خضير البياني: النظرية الإجتماعية جذورها التاريخية وروادها، الجامعة الوطنية، ليبيا، ط1، 2002م

16. زوديجر بونبر: الفلسفة الألمانية الحديثة، تر: فؤاد كامل، دار الثقافة للنشر، القاهرة،

17. ستيفان هابر: هابرماس والسوسيولوجيا، تر: محمد جديدي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م

18. ستيفان هابر: هابرماس والسوسيولوجيا، تر: محمد جديدي، منشورات الاختلاف، ط1، 2010م

19. سعيد العانمي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط1، 2006م

20. عبد العزيز ركح: ما بعد الدولة الأمة عند يورغن هابرماس، دار الأمان، الرباط، ط1، 2011م

21. علي عبود الحمداوي: الإشكالية السياسية للحداثة من فلسفة الذات إلى فلسفة التواصل، دار الأما للنشر، الرباط، 2001م

22. علي عبود المحمداوي: مدرسة فرانكفورت جدل التحرر والتواصل والاعتراف، دار الروافد للنشر، لبنان، 2009م

23. عمر مهيبل: إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار العربية للعلوم، ط1، 2005م

24. كارل أوتو آبل: التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، تر: عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم، ط1، 2005م

25. كمال بومينر: النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم، ناشرون: ط1، 2010م

26. محمد الأشهب: الفلسفة السياسية عند هابرماس، دفاتر سياسية، ط1، 2006م

27. محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، إفريقيا الشرق، ط2، 1998م.

28. مصدق حسن: يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005م

29. مهند مصطفى: أوديسا التعددية الثقافية، سبر السياسات الدولية الجديدة، كتاب دراسات، 2012م،

30. مهنـد مصـطفى: أوديسـا التعدديـة الثقافيـة، سـبر السياسـات الدوليـة الجديـدة، كتـاب دراسـات، 2012م

31. نعيمـة الريـاحي: الثـورات العربيـة والاسـتراتيجيات السياسـية الراهنـة، دار نقـوش عربيـة، تـونس، ط1، 2013م

32. نور الدين علوش: فلسفة السلطة السياسية عند هابرماس، بيروت، ط1، 2016م

33. يونس الوكيلي: في جدل الفعل والدين في الفضاء العمومي، صفحة ثقافية فكرية، 2016.

ج/ المصادر باللغة الأجنبية:

1. J- Habermas :morale et communication : conscience morale et activité communicationnelle tr :Christian bouchithomme Flammarion l'édition decer , paris, 1986

2. Jurgen habermas, raison et lègitimuti, problèmes de légitimation dans le capitalisme avance, par jean Lacoste, ed, Payot, paris, 1978,

3. jurgen habermas, theorie de l'agir communicationnel t2, rationalité de l'gir et rationalisation de la société tr : gean lomus Schlegel fayard

د/ المراجع باللغة الأجنبية:

4. Chrition bouchèndhomme et rainer rouchlitz : Habermas, la raison , la critique, les édition du cerf , paris, 1996

هـ/ المجلات:

1. شعبان: أخلاقيات المناقشة عند هابرماس من منظور الطبيعة الإنسانية، العدد 27

2. عبد الله السيد ولد اباه: المواطنة في عصر ما بعد الدولة الوطنية، مفهوم المواطنة لدى هابرماس، مجلة التسامح.

3. عز الدين الخطابي: حوار الثقافات الكونية والخصوصية، رؤى، العدد 28

4. كمال بومنير: ايتيقا الاعتراف عند أكسل هونيث، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، مجلة الممارسات الفلسفية والفنية والاجتماعية، العدد 1، 2003،

و/ المذكرات:

5. أودنية سليم: فلسفة التداوليات وأخلاقيات النقاش عند هابرماس، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في الفلسفة، 2009/2008.

ز/ المقالات:

6. إيمانويل كانط: فكرة عن تاريخ كوني من زاوية نظر المواطنة العالمية، تر: محمد منادي إدريسي، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، الرباط، مقالة الجدال، 1784

فهرس الموضوعات

المحتويات **الصفحة**

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة

الفصل الأول: الجانب الفلسفي في فكر هابرماس

تمهيد **7**

المبحث الأول: نظرية الفعل التواصلي.....**8**

المطلب الأول: مفهوم الفعل التواصلي.....**8**

المطلب الثاني: مراحل الفعل التواصلي.....**19**

1)مرحلة التفاعل التي يتوسطها رموز **19**

2) مرحلة الخطاب التمييز بالنسبة لمضمونه.....**19**

3) المرحلة الثالثة مرحلة الخطاب البرهاني الحجاجي.....**20**

المبحث الثاني: آليات الفعل التواصلي.....**22**

المطلب الأول: اللغة و التفاهم.....**22**

المطلب الثاني: إيتيقا النقاش.....**28**

المطلب الثالث: الحجاج.....**33**

المبحث الثالث: الفعل التواصلي وعلاقته مع العالم المعيش.....**36**

المبحث الرابع: الفضاء العام.....**41**

المطلب الأول: مفهوم الفضاء العمومي.....**41**

المطلب الثاني: مفهوم المجال العام البرجوازي.....44

أهم نتائج الفصل.....48

الفصل الثاني: النظام السياسي عند هابرماس.....50

تمهيد:.....50

المبحث الأول: الشرعية في النظام السياسي عند هابرماس.....52

المطلب الأول: مفهوم الشرعية.....52

المطلب الثاني: الشرعية والدولة الحديثة.....55

المبحث الثاني: القانون والحق عند هابرماس.....59

المطلب الأول: القانون.....59

المطلب الثاني: الحق.....62

المبحث الثالث: الديمقراطية من منظور هابرماس.....64

المطلب الأول: الديمقراطية والليبيرالية.....64

المطلب الثاني: الديمقراطية التشاورية.....66

المبحث الرابع: ما بعد الدولة الأمة.....71

المطلب الأول: المواطنة القومية.....71

المبحث الخامس: التفكير مع هابرماس ضد هابرماس.....:78

أهم نتائج الفصل الثاني.....81

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع.....88

فهرس الموضوعات 91